قانون الطفل ومؤتمر السكان في ميزان الشريعة !!

نتيجة مسابقة السنة

■ مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد
ALTAWHEED

العدد ٤٣٩ - السنة السابعة والثلاثون - رجب ١٤٢٩ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة

حكم نقل الأعضاء البشرية

عمليات التجميل بين الحل والحرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٣٩ رجب ١٤٢٩ هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

مع مَن أنت؟!

مِن علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زِيدَ في علمه، زِيدَ في تواضعه ورحمته، وكلما زِيدَ في عمله زِيدَ في خوفه وحذره، وكلما زِيدَ في عمره نقص من حرصه، وكلما زِيدَ في ماله زِيدَ في سخائه وبذله، وكلما زِيدَ في قدره وجاهه زِيدَ في قربه مِن الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

ومِن علامات الشقاوة أنه كلما زِيدَ في علمه زِيد في كِبره وزهوه، وكلما زِيدَ في عمله زِيدَ في فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه، وكلما زِيدَ في عمره زِيدَ في حرصه، وكلما زِيدَ في ماله زِيدَ في بخله وإمساكه، وكلما زِيدَ في تيهه وجاهه زِيدَ في كبره وعجبه، وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلي بها عباده، فيسعد بها أقوام، ويشقى بها أقوام، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. فمع من أنت؟!.

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مفاجأة كبرى
لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على
٣٦ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦ سنة كاملة

التوحيد
حكم نقل الأعضاء البشرية

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: بقلم الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: بقلم رئيس التحرير ٦
باب التفسير: سورة البلد: د/ عبدالعظيم بدوي ١٠
باب السنة: زكريا حسيني محمد ١٤
محبطات الأعمال: عبده الأقرع ١٨
درر البحار: على حشيش ٢١
مختارات من علوم القران: مصطفى البصراتي ٢٣
الشيعة الرافضة تاريخ وحقائق: د/ عبدالله شاكر ٢٧
هؤلاء يحبهم الله عز وجل: أيمن دياب ٣١
حدث في مثل هذا الشهر: ٣٤
واحة التوحيد: ٣٦
اتبعوا ولا تبتدعوا: معاوية محمد هيكل ٣٨
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٤٢
القصة في كتاب الله: عبدالرازق السيد عيد ٤٦
باب التراجم: فتحي أمين عثمان ٤٨
باب الأسرة: جمال عبدالرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: على حشيش ٥٣
فتاوى المركز العام: ٥٧
نتيجة مسابقة السنة ٦٠
احتقار اليهود والرافضة لغيرهم: أسامة سليمان ٦٢
السلام التحية الطيبة المباركة: سعيد عامر ٦٤
أحكام اللحية: صلاح الدق ٦٧
إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة:
المستشار/ أحمد السيد على ٧٠

م دار "الجمهورية" للصحافة

ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشا ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار ، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٠جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٦٦٠جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٢٠دولار لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

الافتتاحية

الشوق إلى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن من أصول الإيمان أن يعتقد المؤمن أن لقاء الله حق، ويندرج هذا تحت الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت، إلا أنه قد ورد النص عليه صريحا لأهميته، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبكتابه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث بعد الموت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربها فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم تلا ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان ٣٤]. متفق عليه.

ولقاء الله حق، وقد كان رسول الله ﷺ يذكر بهذه الحقيقة فيقول في دعاء الاستفتاح من صلاة الليل: «أنت الحق ولقاؤك حق».

فعن ابْن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ اللَّه- ﷺ - كان يقُولُ إذا قام إلى الصَّلاة منْ جوْف اللَّيْل: «اللَّهُمَّ لك الْحمْدُ أنْت نُورُ السَّمٰوات والأرْض ولك الْحمْدُ أنْت قيَّامُ السَّمٰوات والأرْض ولك الْحمْدُ أنْت ربُّ السَّمٰوات والأرْض ومنْ فيهنَّ أنْت الْحقُّ ووعْدك الْحقُّ وقوْلك الْحقُّ ولقاؤك حقٌّ والْجنَّةُ حقٌّ والنَّارُ حقٌّ والسَّاعةُ حقٌّ اللَّهُمَّ لك أسْلمْتُ وبك آمنْتُ وعليْك توكَّلْتُ وإليْك أنبْتُ وبك خاصمْتُ وإليْك حاكمْتُ فاغْفرْ لي ما قدَّمْتُ وأخَّرْتُ وأسْررْتُ وأعْلنْتُ أنْت إلهي لا إله إلاَّ أنْت ». (أخرجه البخاري ومسلم).

▫▫ حب لقاء الله والشوق إليه ▫▫

إذا أحب الإنسان أحدا أحب لقاءه، ولم يطق فراقه والبعد عنه، فإذا فارقه امتلأ قلبه بالشوق إلى لقائه والحنين إليه.

قال ابن زيدون في فراق محبوبه:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

لقاء الله

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

فإذا كان هذا الشوق لمحبوبه من الخلائق فكيف بمن حبه إيمان يملأ عليه قلبه

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقدمون محبة النبي ﷺ على كل محبوب من الخلائق سواه متمثلين في ذلك قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»، وقوله لعمر: «حتى أكون أحب إليك من نفسك».

فكانوا يحبونه أكثر من أنفسهم، ويفتدونه بكل غال ونفيس، شعارهم فداك أبي وأمي يا رسول الله.

ولما مات رسول الله ﷺ أظلمت الدنيا في عيونهم لولا تعللهم بحب من هو أعظم منه قدراً؛ وهو حب الله عزوجل الذي كلفهم بحمل الامانة وتبليغ الرسالة للناس أجمعين.

وقد عبر صديق الأمة عن هذا بقوله: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

لما حضرت بلالَ بنَ رباحٍ الوفاةُ وغشيته سكرات الموت قالت امرأته واكرباه فقال لها بلال بل وافرحاه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

وليس هناك محبوب أعظم في قلب المؤمن من الله عز وجل، فمحبته فوق كل محبة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًا لِّلَّهِ﴾، ورسول الله ﷺ يقول: «مَن أحَبَّ لقَاءَ اللَّه أحَبَّ اللهُ لقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لقَاءَ اللَّه كَرِهَ الله لقَاءَهُ». فقالت عَائشَةُ أو بَعْضُ أزْوَاجِه: إنا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ. قال: «ليس ذاك، ولَكنَّ الْمُؤْمنَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ برضْوانِ اللَّه وكَرامَته فَلَيْسَ شَيْءٌ أحَبَّ إليه ممَّا أمامَهُ، فَأَحَبَّ لقَاءَ اللَّه وأحَبَّ الله لقَاءَهُ، وإنَّ الْكَافرَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بعَذَابِ اللَّه وَعُقُوبَته، فَلَيْسَ أكْرَهَ إليه ممَّا أمامَهُ فكَرِهَ لقَاءَ اللَّه وكَرِهَ الله لقَاءَهُ».

وفي رواية أخرى يقول: «من أحب لقاء الله عز وجل أحب الله تعالى لقاءه، ومن كره لقاء الله تعالى كره الله عز وجل لقاءه»، فبكي القوم، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يكره الموت. قال ﷺ: «لست ذلك أعني، ولكن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، فإذا كان عند ذلك أحب لقاء الله تعالى، والله عز وجل للقائه أحب، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، فإذا كان كذلك كره لقاء الله تعالى، والله عز وجل للقائه أكره. قال النووي: الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل التوبة؛ فحينئذ يكشف لكل إنسان ما هو صائر إليه، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم.

وعن الحسن قال: والذي نفسي بيده ما أصبح في هذه القرية من مؤمن إلا وقد أصبح مهموما محزوناً، ففروا إلى ربكم وافزعوا إليه فإنه ليس لمؤمن راحة دون لقائه.

لقد كان رسول الله ﷺ يسأل ربه في دعائه أن يرزقه لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، والشوق إلى لقائه فيقول: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين». رواه النسائي وأحمد.

ويخرج النبي ﷺ على أصحابه ويقول لهم: «إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار لقاء الله». فبكى الصحابة لما علموا بفراقه لهم ولكنه يطمئنهم ويقول لهم: «إن موعدكم الحوض».. ثم تصعد روحه الطاهرة وهو يرفع سبابته للسماء معلنا ومعترفا بوحدانية الخالق ويقول: «بل الرفيق الأعلى.. بل الرفيق الأعلى».

كان رسول الله ﷺ يسأل ربه في دعائه أن يرزقه لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، والشوق إلى لقائه فيقول: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين».

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه، وروي أنه كان قرآنًا فنسخت تلاوته.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «اهتز العرش لحب لقاء الله سعدًا».

قال عبد الرحمن بن أبى ليلى: فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم، وحين طارت صحفهم في أيمانهم، وحين جازوا جسر جهنم فقطعوه، وحين دخلوا الجنة فأعطوا فيها من النعيم والكرامة فكأن هذا لم يكن شيئاً فيما أعطوه بالنسبة للنظر إلى وجه الله الكريم.

ويوم المزيد في الجنة، يرجع المؤمن بعد لقاء الله والنظر إلى وجهه تعالى، وقد ازداد نضرة ونورا وجمالاً يراه أهله فيبتهجون ويبشرون به، والله تعالى يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال الحسن البصري: الناضرة: الحسنة، حسنها الله بالنظر إلى ربها، وحقّ لها أن تنضُرُ وهى تنظرُ إلى ربها. مع أن هذه الوجوه قد دخلت الجنة بنور على قدر إيمانها، ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً.. الحديث».

والشوق: اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

قال بعض السلف: في قوله عزّ وجلّ: وعجلت إليك ربِّ لترضى قال: معناه: شوقاً إليك.

وقال: من علامات الشوق: حب الموت على بساط العافية، كيوسف عليه السلام لما ألقي في الجب لم يقل توفني؛ ولما أدخل السجن لم يقل توفني؛ ولما دخل عليه أبواه وإخوته وخروا له سجداً وتم له الملك والنعمة قال: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]. قيل: هذا تعزية للمشتاقين وتسلية لهم، أي أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إلي فقد أجلت له أجلا يكون عن قريب فإنه آت لا محالة وكل آت قريب.

وفيه لطيفة أخرى وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء:

لولا التعلل بالرجاء لقطعت
نفس المحب صبابة وتشوقا
ولقد يكاد يذوب منه قلبه
مما يقاسي حسرة وتحرقا
حتى إذا روح الرجاء أصابه
سكن الحريق إذا تعلل باللقا

وهذا الشوق على درجات:

- الدرجة الأولى: شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل.

قال ابن القيم: يعني شوق العابد إلى الجنة فيه هذه الحكم الثلاث.

أحدها: حصول الأمن الباعث على الأمل فإن الخوف المجرد عن الأمن من كل وجه لا ينبعث صاحبه لعمل

> قال بعض السلف: من علامات الشوق: حب الموت على بساط العافية، كيوسف عليه السلام لما ألقي في الجب لم يقل توفني، ولما أدخل السجن لم يقل توفني، ولما دخل عليه أبواه وإخوته وخروا له سجدا وتم له الملك والنعمة قال: توفني مسلما وألحقني بالصالحين

البتة إن لم يقارنه أمل فإن تجرد عنه قطع وصار قنوطا.

الثاني: فرح الحزين فإن الحزن المجرد أيضا إن لم يقترن به الفرح قتل صاحبه فلولا روح الفرح لتعطلت قوى الحزين وقعد حزنه به ولكن إذا قعد به الحزن قام به روح الفرح.

الثالث: روح الظفر فإن الأمل إن لم يصحبه روح الظفر مات أمله، والله أعلم.

- الدرجة الثانية: شوق إلى الله عز و جل زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن فعلق قلبه بصفاته المقدسة فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله وهذا شوق.

- الدرجة الثالثة: نار أضرمها صفو المحبة فنغصت العيش، وسلبت السلوى ولم ينهنهها معزى دون اللقاء.

يريد أن الشوق في هذه المرتبة شبيه بالنار التي أضرمها صفو المحبة وهو خالصها وشبهه بالنار لالتهابه في الأحشاء.

وفي قوله: صفو المحبة ؛ إشارة إلى أنها محبة لم تكن لأجل المنة والنعم ولكن محبة متعلقة بالذات والصفات.

قوله: فنغصت العيش ؛ أي منعت صاحبها السكون إلى لذيذ العيش والتنغيص قريب من التكدير.

وقوله: لم ينهنهها معزى دون اللقاء ؛ أي لم يكفها ويردها قرار دون لقاء المحبوب وهذه لا يقاومها الاصطبار لأنه لا يكفها دون لقاء من يحب قرار. [مدارج السالكين].

هذا هو حال المحبين المشتاقين للقاء الله عز وجل وهم أهل الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن المبارك في تفسير هذه الآية: فليعمل عملا صالحاً ولا يخبر به أحداً.

أما أهل الإعراض والغفلة الذين لا يرجون لقاء الله ولا يحبونه فهم أخسر الناس عملاً وأشقى الناس مآلاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس ٧-٨].

وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف ١٠٣-١٠٥].

فاللهم املأ قلوبنا حبا وإخلاصا ورغبة ورهبة وشوقا إلى لقائك، ووفقنا لما تحب وترضى يا أكرم الأكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

قانون الطفل ومؤتمر السكان في ميزان الشريعة

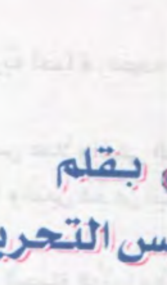

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مُقَدِّرُ الأقدار، ومُصرِّفُ الأمور على ما يَشاءُ ويختار، ومُكوِّرُ الليل على النهار، وبعد:

فعندما ابتعدت الأمة عن منهج الله، واستسلمت لنزواتها، وانطلقت لاهثةً وراء رغباتها زَلَّتْ بها القدم، وعاشت حياة الضنك والمعاناة كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

فما أشبه الليلة بالبارحة؟! فبالأمس البعيد عُقد مؤتمر السكان بالقاهرة في عام ١٩٩٤م، ومن جديد يتجدد انعقاد مؤتمر السكان بالقاهرة، ولكن هذه المرة بتخطيط وتنسيق مصري وعربي، تبعًا لأطروحات الأجندة الغربية، كما كان في السابق، فالهم الوحيد لهذه الأجندة هو الأسرة المسلمة، فمرة تعرض بشكل صريح، ومرات كثيرة تعرض هذه الأجندة بشكل خفي كما جاء في هذا المؤتمر!! وتعديلات جديدة لقانون الطفل وما يحمله من سلبيات تتنافى مع أصول ديننا الحنيف، وتطويع الواقع للدين، وليس تطويع الدين للواقع، في استجابة لما تمليه علينا وثائق الأمم المتحدة!! ومشروع قانون تُعْلِنُهُ الجمعيات العاملة في مجال حقوق المرأة في مصر لتعديل قانون الأحوال الشخصية الحالي فيما أسموه بـ «قانون الأسرة»!!

وفي ظل الهجمة من الداخل والخارج يُطلُّ علينا ما يُسمى بالاتحاد الغربي لمنظمات المجتمع المدني مطالبًا بعدم تجريم الزنا إذا قامت به الزوجة خارج بيت الزوجية!! إنه التغريب والفحش الذي يريد أعداء الإسلام أن يُصدروه إلى مجتمعاتنا الإسلامية!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي ظل هذه الحملة التي تُطل علينا صباح مساء من قبل أعداء الإسلام، وتحت شعار حصول المرأة على حقوقها، تطالب مجموعة من المنظمات النسائية بالسماح بإقامة مساجد خاصة للنساء يقمن فيها بالأذان والإقامة وإمامة المرأة وخطبة الجمعة. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قانون الطفل وفتح أبواب المفاسد !!

إن المصطلحات الغربية المُزيفة، والتي تحمل في مضمونها النمط الغربي في مفهوم الحرية والمساواة الزائفين، والتي قد تتعارض في كثير منها مرجعيته هي «أحكام الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل وغيرها من المواثيق الدولية ذات الصلة النافذة»، وليست مرجعيتها شريعة الإسلام!!

والقضية في وضوح جلي لا يقبل الشك ؛ إما إيمان وخضوع ورضا بحكم الله ورسوله ﷺ، وإما إباء واستكبار وإنكارٌ وميلٌ للشهوات والأهواء، ورب العزة يقول: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وشعار المؤمن يعلنه: «سمعنا وأطعنا»، وشعار المكذب: «سمعنا وعصينا».

وحول مشروع قانون الطفل نُعرجُ على فقراته، ونستعرضها باختصار شديد من خلال الميزان الشرعي:

رفع سن الطفولة

١- رفع سن الطفولة إلى ثمانية عشر عاماً:

وهذا يناقض قول النبي ﷺ: «رُفِع القلم عن ثلاث». ومنها: «..والصبي حتى يبلغ». ومتعارضاً مع القاعدة الشرعية التي تنص على أن البلوغ هو سن التكليف، وكما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ٥٨]، وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩].

والبلوغ هو الوصول إلى سن الاحتلام الذي يتحقق بمجرد خروج السائل الذي يتخلق منه الإنسان في الذكر، وبنزول «دم الحيض» من الأنثى.

المساواة بين الأطفال وعدم التمييز

٢- ما نَصتْ عليه المادة الثانية من المساواة بين الأطفال وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو الدين:

ومفهوم هذه الفقرة هو المساواة بين الذكر والأنثى، وبين المسلم وغيره في التوارث، مما يتصادم مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ كقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وكقوله ﷺ: «لا يرث المؤمن الكافر، لا يرث الكافر المؤمن». [رواه البخاري ح١٥١١].

تشجيع الأطفال على التمرد

٣- تشجيع الأطفال على الإبلاغ عن آبائهم وأمهاتهم، إذا أرادوا تقويم سلوكهم، كما في امتناع الطفل عن الصلاة في سن التكليف مثلاً، وإنشاء خط ساخن للأطفال يشكون عن طريقه آباءهم إذا آذوهم بالضرب.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة مؤكدة على بر الوالدين، وهي مسألة يعلمها القاصي والداني، ولا تحتاج إلى مزيد تقرير، وإلغاء حق الآباء في تأديب أبنائهم مناقض لقوله ﷺ: «الرجل راعٍ في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته».

الجيران يتجسسون على جيرانهم

٤- إلزام الجيران بالإبلاغ عما يجري بين الآباء وأبنائهم، كما شرّع العقوبة لمن باشر الإساءة للطفل ولمن علم بذلك من الجيران ولم يُبلغ، مما يجعل الجيران يتجسسون على جيرانهم؛ مخالفين بذلك قول رب العزة سبحانه: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

حق الحامل من سفاح في إجهاض نفسها

٥- وينص القانون كذلك على حق البنت الحامل من سفاح في إجهاض نفسها، وفي إثبات وليدها بدعوى حريتها في بضعها، واستخراج شهادة ميلاد منسوبة إليها كام؛ مما يُشجع على شيوع الفاحشة، وتكاثر اللقطاء وأطفال الشوارع، كما أن قيد المولود الناتج عن الزنا منسوباً إلى أمه يتعارض تعارضاً صريحاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقول النبي ﷺ: «الولدُ للفراش وللعاهر الحجرُ»، أي أن الطفل إذا كان من الزنا على فراش الزوجية، لا يُنسبُ إلاّ إلى الزوجِ.

ولما كانت اتفاقية الأمم المتحدة بخصوص حقوق الطفل لعام ١٩٨٩، ثم وثيقة «عالم جدير بالأطفال» الصادرة عام ٢٠٠٢م، والتي جاءت لتفسير وتفعيل اتفاقية حقوق الطفل، والتي صارت مرجعية للتشريعات الجديدة للقوانين الوطنية المعنية بالطفل، فإن هذه الاتفاقية تطالب بتعميم خدمات الصحة الإنجابية للأطفال

والمراهقين: من التثقيف الجنسي لهم، وإتاحة وسائل منع الحمل: كالعازل الطبي، ورعاية المُراهقة الحامل، وإباحة الإجهاض لها لو أرادت ذلك!!

وذلك الأمر يُشجعُ على شيوع الفاحشة، وكثرة أطفال الزنا في المجتمع المسلم، نسأل الله العافية.

إلغاء قوامة الرجل

٦- إلغاء قوامة الرجل على المرأة ؛ بدعوى المساواة، ويأتي ذلك متعارضًا مع قول رب العزة عز وجل: ﴿ الرِّجالُ قوَّامُون على النِّساء ﴾ [النساء: ٣٤].

التشجيع على اللواط

٧- إباحة الزواج المثلي بين الشواذ.

وذلك يعني نشر جريمة اللواط التي كان يمارسها قوم لوط، قال تعالى: ﴿ ولُوطًا إذْ قَالَ لِقَوْمِه أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

وإن إقرار هذا القانون بكل بنوده وفقراته لهو خطوة أولى على طريق التبعية الغربية في الترويج للعادات والسلوكيات المنحرفة لتلك الدول في الدول العربية والإسلامية!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

مؤتمر السكان.. ودعوةٌ إلى التغريب!!

فمن جديد ينعقد مؤتمر السكان في القاهرة في محاولة لإبعاد المسلمين عن إسلامهم والهدف المعلن هو وضع استراتيجية للحدِّ من الزيادة السكانية، والتي تُعرقل التنمية في نظرهم، حتى أعلن أن كل أسرة ليس لها سوى طفلين، وما يزيد فهو عبء على كاهل الدولة.

إنه مؤتمر يهدد فيما يزعمون بالانفجار السكاني، مؤتمر يأتي تمردًا على كل الشرائع السماوية، والأخلاق السامية، والفطر السليمة.

وإذا نظرنا نظرة متأنية فاحصة على مَن حولنا، نظرة إلى الصين - مثلاً -أكثر الدول سكانًا، وهي أرفعها في التنمية معدلاً، ونقول لأهل الإسلام: انظروا إلى القضية بمقياس أكبر وأدق، إن استمطار الأرزاق، واستجلاب الخيرات، ورفع معدلات التنمية، لا يكون ولن يكون إلا بالإيمان بالله ربًا مدبرًا، خالقًا حكيمًا، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير، قال تعالى- على لسان نوح عليه السلام، مخاطبًا قومه-: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

ومن مقتضيات هذا الإيمان اتباع الأوامر واجتناب النواهي، ومن ثمّ يكون الخضوع لله وتحكيم شرعه، والبعد عن الظلم والتظالم، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل الربا ومنع الزكاة، وتقطيع الأرحام وبخس الناس أشياءهم، وتضييع الموارد والثروات، وتبديدها فيما لا يرضي الله، والحذر من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق.

إن الأعداد البشرية وزيادتها ونقصها وتوازنها، كل ذلك خاضع لسنة الله وحكمته وقدره وعلمه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾ [فاطر: ١١].

إن حق الحياة محفوظ لكل نسمة، ولما أذن النبي ﷺ بالعزل، وسُئل عن ذلك، فقال ﷺ : «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة». [رواه البخاري].

ثم لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

وقوله أيضًا: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].... ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

ولنهنا بديننا ولنسعد بكلام ربنا عز وجل: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٧].

قانون جديد للأحوال الشخصية!!

وفي ظل الحملة الشرسة على كل ما هو إسلامي؛ تُعلن الجمعيات العاملة في مجال حقوق المرأة في مصر مشروعًا لتعديل قانون الأحوال الشخصية، ويشمل هذا المشروع الذي وضعته تسع منظمات تعمل في مجال حقوق المرأة جميع مراحل الزواج من الخطوبة حتى الطلاق، نذكر منها في عجالة سريعة:

١- وضع شروط مطبوعة في عقد الزواج للتشجيع على استخدامها مخالفة لنصوص الشريعة، وكذلك تعقيد تعدد الزوجات بحصره في يد القاضي إما برفضه أو السماح به بعد التأكد من عدم وجود شرط من الزوجة الأولى بعدم الزواج عليها.

٢- بالنسبة للزواج العرفي يقترح المشروع أن تقبل دعاوى الطلاق في حالة الزواج العرفي لمدة أقصاها خمس سنوات بدءًا من تاريخ صدور القانون الجديد، وأن يكون للزوجة (عرفيًا) الحقوق التي تحصل عليها المتزوجة رسميًا، وعلى سبيل المثال الحق في النفقة، وحصول أبنائها تلقائيًا على نسبهم لأبيهم!!

٣- بالنسبة للطلاق يعطي المشروع الحق للزوجة في توثيق طلاقها بالاستعانة بالشهود، وفي حالة عدم حضور الزوج للمحكمة يتم إعلانه رسميًا بما تدعيه الزوجة، ويطلب حضوره لنفي أو إثبات هذه الادعاءات، فإذا امتنع عن الحضور خلال خمسة عشر يومًا بعد تسلمه الإعلان يمضي الأمر بقولها والحكم بتطليقها، وهو ما يعني السماح بتطليق المرأة للرجل غيابيًا.

٤- إلغاء الطلاق الغيابي وتقييد تعدد الزوجات ورفع سن الزواج إلى ١٨ سنة.

٥- عدم إسقاط حضانة الأم في حالة زواجها مما يتنافى مع ما أقرته الشريعة المطهرة.

٦- وضع مادة تعاقب الزوج إذا قام بتأديب زوجته!! مع أن التأديب حق منصوص عليه في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

المطالبة بعدم تجريم زنا الزوجة خارج منزل الزوجية!!

وفي صورة أخرى من صور الحملة على الإسلام، ونشر الفاحشة في المجتمعات الإسلامية؛ يُطل علينا ما يسمى بالاتحاد الغربي لمنظمات المجتمع المدني مطالبًا بعدم تجريم الزنا إذا قامت به الزوجة خارج بيت الزوجية، وقصر تحريك الدعوى القضائية جنائيًا ضدها إذا ارتُكِبَتْ الجريمة داخل بيت الزوجية فقط، والدعوى تأتي دليلاً واضحًا على التغريب والتخريب الذي يسعى إليه أعداء الإسلام لنشره في المجتمعات الإسلامية، فجميع الأنظمة الغربية لا تعتبر زنا المتزوجين إذا تم خارج بيت الزوجية فعلاً إجراميًا أو جنائيًا أو منافيًا للحشمة، وهذا مناف للشريعة الإسلامية التي وضعت حدودًا لهذه الجريمة النكراء، والتي يعتبرها الغرب تقييدًا لحرية المرأة. يقول الله القهار: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

تخصيص مساجد للنساء يقمن فيها بالإمامة والأذان!

وفي ظل المطالب الغربية الشاذة والتي ترد إلينا كل يوم من أعداء الإسلام في الخارج أو من أعوانهم في الداخل والتي تستهدف دائمًا التأثير على عقل المرأة وزعزعة استقرار الأسرة، تحت شعار ما يسمونه حقوق المرأة، وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة؛ تطالب مجموعة من المنظمات النسائية بإقامة مساجد للنساء فقط يتولين فيها رفع الأذان، وإمامة المصليات وخطبة الجمعة والدروس الدينية مع استبعاد العنصر الرجالي تمامًا!!

ويأتي ذلك في إطار هدف تلك المنظمات لهدم المجتمع المسلم، بحجة المساواة بين الرجل والمرأة، وحصول المرأة على كافة الحقوق التي يحصل عليها الرجل، وهي الدعوات العلمانية التي يتم ترديدها منذ عدة سنوات من أجل إثارة حالة من البلبلة بين المسلمين وشغلهم عن قضاياهم الرئيسية!!

فاللهم احفظ الإسلام والمسلمين، وأهلك أعداءك أعداء الدين، ووفق ولاة أمورنا للدفاع عن دينك وكتابك وسنة نبيك ﷺ، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ البَلَد

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [سورة البلد].

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، استُفْتحتْ بالقَسَم على حقيقة في حياة الإنسان ثابتة، وهي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، ثم ذكرت دلائل قدرة الله على هذا الإنسان الذي ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، وكشفت له عن صعوبة الطريق، وعن العقبات التي تعترضُه في سيره إلى ربه، وحثته على الاجتهاد على اقتحام هذه العقبات، وبينت له الأمور التي يستعينُ بها على ذلك، ثم خُتمَت بالوعيد للذين وقفوا أمام هذه العقبات عاجزين عن اقتحامها، لتسلط النفس والهوى والشيطان عليهم، أولئك ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: يُقْسِمُ سبحانه بهذا البلد، وهو البلد الحرام مكة، كما أقْسَم به في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين: ١- ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ لفظ «حلٌّ» يُطْلَقُ على المقيم، ويُطْلَقُ على الحلالِ غير المحرم، فعلى الأول يكونُ المعنى: لا أُقْسم بهذا البلد، وأنت مقيمٌ به، وإقامتك به تزيدُه تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا، وإن كان هو في ذاته شريفًا كريمًا عظيمًا، ولذلك استحق أن يقسم الله به، وعلى المعنى الثاني يكونُ المرادُ: أنه يحلَ لك في هذا البلد الحرام ما لا يحلَ لغيرك من القتل ونحوه، مما هو حرام على غيرك فيه، ويكونُ ذلك إخبارًا عما سيكون يومَ الفتح، فإنَ النبي ﷺ

حين دخل مكة فاتحا أمر بقتل أربعة نفر ولو كانوا تحت أستار الكعبة، ثم خطب ﷺ فكان مما قال: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرةً، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب. [متفق عليه].

ومعنى ذلك أن الله أخبر نبيه ﷺ بأنه سيحل له بمكة ما لم يحل لغيره بها، كما أخبره بأنه سيموت بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، واضح، وهو على ظاهره يشمل كل والد وكل ولد، وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: في تعب ومشقة، وجُهد وكد، وكفاح وكدح، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، قال العلماء: يكابد الإنسان هذا الكبد من أول لحظة تستقرَّ فيها النطفة في الرحم، فما أن تستقر النطفة وتلتقي بالبويضة فتكوّن الخلية الأولى، حتى تأخذ هذه الخلية في الكبد لتهيئ لنفسها الجوَّ المناسب والظروف الملائمة بإذن ربها، وما تزال تعاني من هذا الكبد حتى ينشئها الله خلقًا آخر، حتى إذا أراد الخروج من بطن أمه عانى من ألم المخاض ومرجعه ما تُعانيه الوالدة أو أكثر، وربما مات خنقًا أثناء خروجه، فإن خرج سالمًا بادروا إلى قطع سرته بالموسى، فعانى من ذلك أشد المعاناة، ثم لفّوه في لفافة وكأنها قيدٌ غليظ، فعانى من ذلك الشيء الكثير، ثم يكابدُ الرضاع الذي لو فاته لضاع، حتى إذا مضى عليه أسبوع دعَوا بالموسى ليحلقُوه ويختنوه، وفي ذلك من الكبد ما هو معلوم، فإن طالت أيامه عانى من ألم ظهور الأسنان، ثم يكابد مشقة تعلم الانتصاب والمشي، حتى إذا أدرك ووعى كابد ألم التعلم وضَرْبَ المعلم، وتأديب المؤدب، حتى إذا استقل بالمعيشة كابد منْ أجل الزواج، فإذا تزوج كابد مشقة الزواج ومسئوليته، ثم يكابدُ منْ أجل الأطفال، وهو في ذلك كله لا يَسْلَمُ من الأسقام والآلام، حتى إذا بلغ من الكبر عتيا ضَعُفَ سمعه وبصرُه، وانحنى ظهرُه وضَعُفَتْ قوته، حتى إذا انتهى أجلُه كابد مشقة سكرات الموت، فإنْ دُفنَ كابدَ ضغطة القبر، وشدة السؤال، فإذا بُعثر ما في القبور كابدَ الأهوالَ العظام، حتى يرى سبيله إمَّا إلى جنة وإمَّا إلى نار، فإنْ كانت الأولى فقد استراح، وقال مع أهلها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤]، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فلو كان للإنسان الخيرة من أمره، ما اختار هذه الحياة، لما فيها من هذه المتاعب، ولكن قضاء الله وقدره، وله الحكمة التامة، فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته، حتى يريحنا من كبد الدنيا بسُكنى جنته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني: أيظن أن لن يسأل ويحاسب على جميع أعماله، فهو ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾ أي كثيرًا، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يعني: أيظن أن الله لم يره ! ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ينطق اللسان وتساعده الشفتان، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: بيَّنا له الطريقين: طريق

الخير، وطريق الشرّ حتى صار كلّ طريق ظاهرًا وواضحًا وضوح النجد، وهو في الأصل الأرض المرتفعة، فلما ظهر الحق والباطل ظهورًا واضحًا، كان كلّ منهما كالنجد، فسمّى به، فقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ معناه: فلا اقتحم العقبة، فهو حضٌّ من الله للإنسان على اقتحام العقبة، وهي في الأصل الطريقُ في الجبل، سُميت كذلك لصعوبة سلوكها، والمرادُ بها هنا كل ما يمنع الإنسان من سلوك طريق الخير، من النفس والهوى والشيطان، وثقلِ التكليف، والاقتحامُ معروفٌ، وهو الدخول في الشيء بقوةٍ، من غير تدبر ولا روية، فلا اقتحم الإنسانُ هذه العقبات حتى يصل إلى رضوان الله والجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾، سؤالٌ لتفخيم شانها وتعظيم أمرها، ثم أرشد إلى كيفية اقتحامها، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، والمرادُ بفكّها عتقها، وقد كان النبي ﷺ يحثّ على ذلك ويرغّب فيه فيقول: «مَنْ أعْتَقَ رقبة، أعتقَ اللّهُ بكل عُضوٍ منها عُضوًا من أعضائه من النار، حتى فرْجه بفرجه». [البخاري: ٦٧١٥، ومسلم: ١٥٠٩].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ والإطعامُ في وقتِ المجاعة أفضلُ من الإطعام في وقت الرخاء، لأن طبيعة النفس الجود في السعة، والإمساك في الضيق، فكان الإطعام في المسغبة أعظم أجرًا لأن الإنسان يحقق نصرًا عظيمًا على نفسه، ثم هو يُنفق راجيًا أن يُخْلف الله عليه، ثقةً بوعدِه سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، ولذا فرق الله سبحانه بين من أنفق قبل الفتح ومن أنفق بعده، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، وذلك لأن قبل الفتح كان بالمسلمين حاجة، وكانوا قلّة، وأما بعد الفتح فقد كثر عددهم وكثر رزقهم، وقد بين النبي ﷺ أيضًا ذلك، فقال- وقد سُئل: أي الصدقة أفضل ؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيحٌ شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى». [متفق عليه].

وخصّ ربنا سبحانه الإطعام باليتيم ذي المقربة لأن «الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة». وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، وهو البائسُ المعدوم، الذي لا يجد شيئًا، حتى إنه ليفترش التراب من الحاجة، وهذه الأعمال لصالحة من العتق والإطعام ونحوهما لا تنفع من غير إيمانٍ، ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فالإيمان هو أساسُ قبول الأعمال إذا توفرت شروط القبول الأخرى، فالكافر لا يُقبلُ منه عملٌ أبدًا، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يا رسول الله، ابنُ جُدعان، كان في الجاهلية يصلُ الرحم، ويطعمُ المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقلْ يومًا: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين». [رواه مسلم ١/١٩٦/٢١٤].

وأما المؤمنون فإنّ أعمالهم مقبولةٌ بشرطين: الإخلاصُ الله، والمتابعةُ لرسوله ﷺ: قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وقال ﷺ: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يعني: أنه لا يكفي للنجاة أن يكمِّل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، حتى يسعى إلى تكميل غيره أيضًا، فيدعوهم إلى الإيمان، ويأمرهم بالعمل الصالح، وأهمه الصبر، وهو أنواعٌ ثلاثة: صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على الأقدار المؤلمة، كما أنّ من أهمِّ الأعمال الصالحة الرحمةَ بعباد الله، ولذا جَمع الله بينها وبين الصبر، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، ووصايا الرسول ﷺ لأمته بالصبر والرحمة كثيرة جدًا، ومنها: «مَن يستعففْ يعفَّه الله، ومن يستغْنِ يُغْنِه الله، ومن يتصبرْ يصبره الله، وما أُعْطِي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر». [متفق عليه] وقوله: «الصبرُ ضياء». [رواه مسلم: ١/٢٠٣/٢٢٣، والترمذي: ٥/١٩٦/٣٥٨٣، والنسائي: ٥، ٥/٦].

وقولُه للمرأة السوداء التي قالت: إني أُصرع وإني أتكشفُ، فادعُ الله تعالى لي، فقال لها: «إنْ شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله لكِ». فقالت: أصبر. [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «من لم يرحم الناس لا يرحمه الله». [رواه الترمذي: ٣/٢٩٦/١٩٨٧).

وقوله: وقد بكى على ابنِ بنتٍ له مات، فقيل له: ما هذا ؟ فقال: «هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [متفق عليه].

وقوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات هم أصحابُ الميمنة، وجزاؤهم عند ربهم مذكور في سورة الواقعة: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٨].

وهذه الآياتُ كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: أصحابُ الشمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: مُغْلَقةٌ عليهم فلا يخرجون منها أبدًا، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]، وقد فصّل الله تعالى ما أجمله هنا في سورة الواقعة، فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

أجارنا الله وسائر المسلمين من نار الجحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

عمليات التجميل بين الحِل والحُرمة

إعداد/ **زكريا حسيني محمد**

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الهدى والرحمة، نبينا محمد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن عبد الله (هو: ابن مسعود) رضي الله عنه قال: لعنَ اللهُ الواشمات والمُوتَشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسنِ المغيرات خلقَ الله، فبلغَ ذلك امرأةٌ من بني أسدٍ يقال لها: أمُّ يعقوبَ، فجاءتْ فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنتَ كيتَ وكيتَ، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ، وهو في كتابِ الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئنْ كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه. فقالت: فإني أرى أهلكَ يفعلونَهُ. قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فلم تر من حاجتها شيئًا، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه أولها في كتاب التفسير باب «وما آتاكم الرسول فخذوه»، برقمي (٤٨٨٦، ٤٨٨٧)، وثانيها في كتاب اللباس باب «المتفلجات للحسن» برقم (٥٩٣١)، وفي باب «المتنمصات» برقم (٥٩٣٩)، وفي باب «الموصولة» برقم (٥٩٤٣)، وفي باب «المستوشمة» برقم (٥٩٤٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب اللباس والزينة باب «تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله» برقم (٢١٢٥).

وأخرجه أيضًا الإمام أبو داود في سننه في كتاب الترجل باب «صلة الشعر» برقم (٤١٦٩)، وكذا أخرجه الإمام الترمذي في جامعه في أبواب الأدب باب «ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» برقم (٢٧٨٢)، وأخرجه كذلك الإمام النسائي في الكبرى في كتاب الزينة برقمي (٥١٠٢، ٥١٠٣)، وبرقمي (٥١١٠، ٥١١١)، وفي المجتبى برقم (٥٢٥٣)، وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم (١٩٨٩)، في كتاب النكاح باب «الواصلة والواشمة»، وكذلك أخرجه الإمام الدارمي في سننه برقم (٢٦٤٧) في كتاب الاستئذان، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (١/ ٤١٥، ٤١٧، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٥٤، ٤٦٥).

شرح الحديث

هذا الحديث اشتمل على ثلاثة أفعال:

١- الوشم: وهو عبارة عن تلوين بعض الأماكن من جلد المرأة بغرزها بالإبر وحشوها بالكحل وغيره تنقش به نقشًا، وهو نوع من التجميل الذي تحبه

بعض النساء في كثير من الأرياف العربية وغيرها.

٢- النمص: وهو عبارة عن ترقيق الحواجب بإزالة شعرها، لتغيير أشكالها برسوم مختلفة لتتناسب مع وضع عيونهن في زعمهن.

٣- التفليج، وهي تفريج ما بين الأسنان المتلاصقة، وغالبًا ما يختفي التفلج بالثنايا والرباعيات، وتستحسنه كثير من النساء، فتطلبه من كانت أسنانها مصمتة خلقة فتصبح فلجاء صنعة، وقد تفعله كبيرة السن لتبدو في أعين الناس صغيرة؛ لأن الفلجة غالبًا ما تذهب مع الكبر.

وهناك فعل رابع وهو الوصل، ورد في حديث كل من ابن عمر رضي الله عنهما، وابن عباس رضي الله عنهما، وعائشة رضي الله عنها، وأسماء رضي الله عنها، أما أحاديث ابن عمر وعائشة وأسماء رضي الله عنهم فهي في الصحيحين، وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فهو في سنن أبي داود.

والوصل عبارة عن وصل شعر المرأة بشعر آخر أو بصوف أو غيره ليظهر أنه كبير على غير حقيقته.

حكم فعل هذه الأشياء

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «أما الواشمة فهي فاعلة الوشم، وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم فتحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش وقد تكثره وقد تقلله، وفاعلة هذا واشمة، والمفعول بها موشومة، فإن طلبت فعل ذلك بها فهي مستوشمة، وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها والطالبة له، وقد يفعل بالبنت وهي طفلة فتأثم الفاعلة ولا تأثم البنت لعدم تكليفها حينئذ، وقال: يجب على من فعل به ذلك أن يزيله إن أمكنه ذلك، فإن أمكن ذلك ولم يزله عصى بتأخير إزالته، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة، والله أعلم.

قال: وأما النامصة فهي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك بها، وهذا الفعل حرام، إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالتها بل يستحب عندنا. وقال ابن جرير: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها ولا شاربها ولا تغيير شيء من خلقتها بزيادة ولا نقص، ومذهبنا ما قدمناه من استحباب إزالة اللحية والشارب والعنفقة، وأن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه، ورواه بعضهم المنتمصة بتقديم النون، والمشهور تأخيرها. ويقال للمنقاش منماص.

قال: وأما المتفلجات فالمراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات، وهو من الفلج وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان ؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضًا: الوشر، ومنه لعن الواشرة والمستوشرة، وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث، ولأنه تغيير لخلق الله تعالى، ولأنه تزوير، ولأنه تدليس، وأما قوله: «المتفلجات للحُسن» فمعناه: يفعلن ذلك طلبًا للحُسن، وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، وأما لو احتاجت إليه لعلاج أو لعيب في السن ونحوه فلا بأس به، والله أعلم.

وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لو كان ذلك لم نجامعها»، قال جماهير العلماء: لم نصاحبها ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها. قال القاضي: ويحتمل أن معناه لم أطأها، وهذا ضعيف، والصحيح ما سبق، فيحتج به في أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كالوصل أو ترك الصلاة أو غيرهما ينبغي له أن يطلقها، والله أعلم.

وأما الوصل الذي ورد في حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وأسماء، رضي الله عنهم، فقال الإمام النووي رحمه الله: وأما الواصلة فهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر، والمستوصلة هي التي تطلب من يفعل بها ذلك، ويقال لها: موصولة. قال: وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقًا، وهذا هو الظاهر المختار، وقد فصله أصحابنا فقالوا: إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام بلا خلاف ؛ سواء كان شعر رجل أو امرأة، وسواء شعر الزوج والمحرم وغيرهما بلا خلاف لعموم الأحاديث، ولأنه يحرم الانتفاع بشعر الآدمي وسائر أجزائه لكرامته، بل يدفن شعره وظفره وسائر أجزائه، وإن وصلته بشعر غير آدمي فإن كان شعرًا نجسًا وهو شعر الميتة وشعر ما لا يؤكل لحمه إذا انفصل في حياته فهو حرام أيضًا للحديث، ولأنه حمل نجاسة في صلاته وغيرها عمدًا، وسواء في هذين النوعين المزوجة وغيرها من النساء والرجال،

وأما الشعر الطاهر من غير الآدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضًا، وإن كان لها زوج أو سيد فثلاثة أوجه:

أحدها: لا يجوز لظاهر الأحاديث. والثاني: لا يحرم، وأصحها عندهم إن فعلته بإذن الزوج أو السيد جاز، وإلا فهو حرام، قال: هذا تلخيص كلام أصحابنا في المسألة.

وقال القاضي عياض: اختلف العلماء في المسألة فقال مالك والطبري وكثيرون أو الأكثرون: الوصل ممنوع بكل شيء سواء وصلته بشعر أو صوف أو خرق، واحتجوا بحديث جابر الذي ذكره مسلم بعد هذا أن النبي ﷺ زجر أن تصل المرأة برأسها شيئًا، وقال الليث بن سعد: النهي مختص بالوصل بالشعر، ولا بأس بوصله بصوف وخرق وغيرها، وقال بعضهم: يجوز جميع ذلك وهو مروي عن عائشة ولا يصح عنها، بل الصحيح عنها كقول الجمهور.

هل يجوز وصل الشعر للضرورة

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن لي ابنة عُرَيِّسًا أصابتها حصبة فتمرق شعرها، أفاصله؟ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنة لها، فاشتكت فتساقط شعرها فأتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجها يريدها، أفأصل شعرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لُعِنَ الواصلاتُ».

١- وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: إن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمرط شعرها، فأرادوا أن يصلوه، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فلعن الواصلة والمستوصلة.

هذان الحديثان أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحيهما، والإمام أحمد في المسند وغيرهم. قال الإمام النووي في شرح مسلم: قوله: «فتمرق شعرها»، وفي رواية: «فتمرق شعر رأسها وزوجها يستحسنها». وفي رواية: «أنها مرضت فتمرط شعرها». وفي رواية: «فاشتكت فتساقط شعرها، وأن زوجها يريدها». قال: أما تمرق فبالراء المهملة، وهو بمعنى تساقط وتمرط كما ذكر في باقي الروايات، ولم يذكر القاضي في الشرح إلا الراء المهملة كما ذكرنا، وحكاه عن جمهور الرواة، ثم حكى عن جماعة من رواة «صحيح مسلم» أنه بالزاي المعجمة، قال: وهذا وإن كان قريبًا من معنى الأول ولكنه لا يستعمل في الشعر في حال المرض.

وأما قولها: «إن لي ابنة عُرَيِّسًا»، فبصيغة التصغير، وهو تصغير عروس، والعروس يقع على المرأة والرجل عند الدخول بها، قال: وأما الحصبة فبفتح الحاء وإسكان الصاد، ويقال أيضًا: بفتح الصاد وبكسرها ثلاث لغات، والإسكان أشهر، وهو مرض معروف قديمًا وحديثًا.

وأما قولها: «وزوجها يستحسنها». فهكذا وقع في جماعة من النسخ من الاستحسان، أي يستحسنها فلا يصبر عنها ويطلب تعجيلها إليه، ووقع في كثير منها: «يستحثنيها» من الحث وهو السرعة في الشيء، وفي بعضها: «يستحثها»، والله أعلم.

قال: وفي الحديث أن الوصل حرام سواء كان لمعذورة أو عروس أو غيرهما. وفي هذه الأحاديث أيضًا أن هذه الأفعال (الوصل، والوشم، والنمص، والفلج) من المعاصي الكبار، وذلك للعن من تفعلها ومن تفعل به، ففاعل ذلك في محلات ما يسمى بـ «الكوافير» سواء كان الفاعل رجلاً أم امرأة فهو ملعون مطرود من رحمة الله تعالى، وكذلك من يُفعل بها ذلك، سواء كانت عروسًا أو مريضة تحتاج إلى تحسين هيئتها عما هي عليه فهي ملعونة أيضًا.

وفي هذه الأحاديث أيضًا أن المعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم، كما أن المعاون على الطاعة يشارك فاعلها في الثواب، والله أعلم.

ما يلحق بهذه الأشياء من الحرمة مما تتزين به النساء

١- تكثير شعر الرأس بأي نوع من التكثير، سواء كان بشعر أو صوف أو خرق أو خيوط أو غير ذلك؛ لأن الهدف من استعمال هذه الأنواع هو الغش والخداع، وهو متحقق فيما تضعه نساء اليوم مما يسمى بـ «البوستيج» ليوهمن الناس بكثرة شعورهن، ولقد سمى النبي ﷺ ذلك كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الزور، وقال معاوية عندما قدم المدينة: ما كنت أرى أن يفعل ذلك إلا نساء بني إسرائيل، ويدخل في هذا الزور أيضًا «الباروكات» وغيرها من أنواع الشعر المستعار سواء أكان طبيعيًا أم صناعيًا.

٢- بعض التسريحات التي تفعلها بعض نساء

المسلمين برفع الشعر إلى أعلى وجمعه في منتصف الرأس ليشبه سنام الجمل، والذي أشار إليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (ح:٢١٢٨).

٣- قشر الجلد لتظهر الطبقة التي تحته وهي ناعمة ناصعة اللون، واستعمال بعض الدهانات لقشر جلد الوجه بالذات حتى تبدو المرأة أكثر شبابًا ونعومة، ولا شك أن هذا من الزور الذي نهى عنه الشرع.

٤- ما استحدث من رموش صناعية وأظفار، وأنواع الطلاء التي صنعت لمثل ذلك، والمرأة تستعمل ذلك غير مبالية بكونها تحجب الماء عن البشرة في الطهارة غسلاً ووضوءًا، غير عابئة بصحة صلاتها وعباداتها.

٥- شد جلد الوجه بإجراء عملية جراحية أو بمواد كيميائية تؤدي إلى ظهور المرأة بأنها أصغر سنًا وأكثر شبابًا، وهذا أيضًا نوع من التزوير والخداع والغش وعدم الرضا بما خلقَ الله الخلق عليه وفطره عليه.

٦- ويلحق بذلك أيضًا زراعة الشعر بالرأس. والله المستعان.

ما يجوز للمرأة من أنواع الزينة

أباح الإسلام للمرأة أن تتزين لزوجها بكل ما تستطيعه من أنواع الزينة المباحة التي لم يرد نص بمنعها وتحريمها، ومن ذلك:

١- الخضاب بالحناء، روى الإمام أحمد في المسند عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كانت امرأة عثمان بن مظعون تخضب وتَطَيَّبُ، فتركته فدخلت عليَّ، فقلت: أمشهدٌ أم مغيبٌ؟ قالت: مَشْهَدٌ. قالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء، قالت عائشة: فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فلقي عثمان، فقال: «يا عثمان تؤمن بما نؤمن به؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فأسوة مالك بنا»؟ .وأخرج أبو داود عن كريمة بنت همام قالت: دخلت المسجد الحرام فأخلوه لعائشة فسألتها امرأة: ما تقولين يا أم المؤمنين في الحناء ؟ فقالت: كان حبيبي ﷺ يعجبه لونه ويكره ريحه، وليس بمحرم عليكن بين كل حيضتين أو عند كل حيضة».

٢- الكحل وكذلك البودرة والحمرة، وضابط ذلك كما قال بعض العلماء: أن ما يزول ولا يثبت ولا يستديم يجوز استعماله لكونه ظاهرًا في أنه ليس من طبيعة بشرة المرأة.

٣- استعمال الشريط الملون وعلى ذلك فليس فيه غش ولا تدليس وأمثاله على ضفائر البنات الصغيرات، وذلك لظهوره، ومعرفة أنه ليس من الشعر.

٤- وضع أنواع الزينة على اختلافها على رؤوس النساء فيما يبدو أنه ليس من الشعر في شيء، ولا يراد به الغش والخداع، كالورود الصناعية والأشرطة الملونة والنصوص ونحوها مما تضعه النساء على شعورهن.

٥- إذا كان للمرأة سن طويل أو أصبع زائدة أو أي عضو زائد، فإنه لا يجوز قطعه وإزالته، لأنه داخل في تغيير خلق الله تعالى. أما إذا كان هذا السن أو الأصبع أو العضو يتسبب في أذى أو إعاقة في الأكل أو الكلام أو نحوهما، فيجوز للمرأة وكذا للرجل أن يزيل هذا العضو الزائد، والله أعلم.

هذا، وكثير من المسلمين ونساء المسلمين يقيمون ويقمن على مخالفة الشرع ومعصية الله ورسوله، ثم يكون التساؤل بعد ذلك: لماذا نصاب بالفتن والابتلاءات والمحن؟

وقد يعيب بعض المسلمين بعضًا، وكل يلقي باللائمة على غيره، ولا يفكر أحد في أن ما أصابنا ليس إلا بما كسبت أيدينا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعن المسلمين أجمعين، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويلهمنا اجتنابه، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يقيم رجال المسلمين ونساءهم وشبابهم على طاعته، وأن يباعد بينهم وبين المعاصي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

محبطات الأعمال

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله، معز من أطاعه واتقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، وفق أهل طاعته لما يحبه ويرضاه، وأصلي وأسلم على خير عبد اجتباه، وأفضل رسول اصطفاه، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد:

فقد تحدثت في العدد الماضي عن شروط قبول الأعمال، وتأسيًا بالصحابي الجليل حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- في قوله: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني». متفق عليه.

وقول الشاعر الحكيم:

عرفت الشرَّ لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

أحببت أن أذكر نفسي وإخواني وأخواتي بمحبطات الأعمال، نسأل الله السلامة والعافية لنا وللمسلمين والمسلمات من أي قول أو عمل من شأنه يحبط أعمال العبد، لأن الحسرة تكون كبيرة عندما يقوم العبد بعمل من الأعمال، وقد يبذل فيه جهدًا ثُمَّ لا ينال من ورائه خيرًا.

ولقد كان السَّلَفُ الصالح يخافُونَ ألا يُتقبَّل منهم عَمَلُهُمْ.

سألت أم المؤمنين عائشةُ- رضي الله عنها- رسول الله ﷺ عن أهل هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر؟ قال: «لا يا ابنة الصِّديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ويخافون ألا يُقبل منهم». [صحيح ابن ماجه: ٣٣٨٤].

من أسباب محبطات الأعمال: «الشرك»

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

والمعنى: لئن أشركت ليبطلنَّ عملك الصالح، ولتكونَنَّ في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك، وهذا على سبيل الفرض والتقدير، وإلا فالرسول ﷺ قد عصمه الله وحاشاه له أن يشرك بالله، وهو الذي جاء لإقامة صرح التوحيد.

وقال تعالى بعد ذكر جملة من الأنبياء: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا

لحبطَ عنْهُمْ ما كانُوا يعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

والمعنى: أنَّ هؤلاء الأنبياء المذكورين لو أشركوا بالله لحبطت أعمالهم، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع.

فالشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، قال الله تعالى: ﴿ما كانَ للْمُشْرِكينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّه شَاهِدينَ عَلى أنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]، فالعبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة.

وقد وعد الله تعالى بالمغفرة لمن لقيه لا يشرك به. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثُم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرةً». (صحيح الجامع: ٤٣٣٨).

وقد دلَّ هذا الحديث على أنَّ الإنسان مهما أتى من ذنوب، واقترف من آثام، ولكنه سلم من الإشراك بدَّل الله سيئاته حسنات، وآتاه بدل هذه الذنوب مغفرة، فظهر أنَّ الذنوب تتضاءل أمام عقيدة التوحيد، وأن بركتها تغشى المذنب فتمحو خطاياه، كما أن للشرك شؤمًا وظلمة تغطي على جميع الحسنات، وتحبط جميع العبادات، فكان الفاسق الموحد خيرًا من المتقي المشرك.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى جبريل، فقال: بشِّر أمتك أنه من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنا؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنا؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنا؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر». [صحيح الجامع: ٦٦].

والشرك يمنع من شفاعة النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ نبي دعوةٌ مستجابة، فتعجل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئًا». [رواه مسلم].

ألا وإنَّ من مظاهر الشرك دُعاء غير الله: فمن دعا أحدًا غير الله فقد عبده، فإنَّ الله سمى الدعاء عبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال رسول الله ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادة». [صحيح أبي داود ١٣٢٩].

وقال تعالى حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩]. فسمى الله الدعاء عبادة.

وقد أفصح القرآن في مواضع بالنهي عن دعاء غير الله: فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وأخبر سبحانه أنَّ دعاء غيره ظلم، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

والمعنى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله من سائر المعبودات، ﴿لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

بِشَيْءٍ﴾ أي: لا يجيبونهم بإعطائهم شيئًا مما يطلبون منهم، ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ أي: إلا كاستجابة من بسط يديه، أي: فتحهما ومدهما إلى الماء، والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان، ويظل كذلك حتى يهلك عطشًا، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه، ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران، فليس هناك معبود مع الله يصح أن يُدعى، فهو سبحانه دافع الضر ومالك النفع، المتفرِّدُ بالملك والقهر والعطاء، بيده وحدهُ ملكوتُ كل شيء، قضاؤه نافذٌ، وقدرُهُ كائنٌ، لا مانعَ لما أعطى، ولا معطي لما منعَ، هو سبحانه المؤمَّل وحده لكشف كلِّ بلاء، ودفع كلِّ بأساء، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومنها: النذر لغير الله، مثل أن يقول: لفلان عليَّ نذر، أو لهذا القبر عليَّ نذر، وحكم النذر لغير الله شرك، لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة، فقد صرفها لغير الله، ومنها: الذبح لغير الله: الذبحُ عبادة أمر الله بها وقرنها بأهم أركان الدين: الصلاة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، والمراد بالنحر: الذبح، أي: اجعل نحرك لله، كما أنَّ صلاتك له. ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فلا يجوز لمسلم أن يذبح لغير الله، فإنْ فعلَ فقد أشرك، وقد لعن رسول الله ﷺ من ذبح لغير الله، عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ اللهُ من ذبح لغير الله، لعن اللهُ من لَعَنَ والديه، لعن اللهُ من آوى محدثًا، لعن الله مَن غيَّر منار الأرض». [رواه مسلم].

واللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

منها: الطواف حول الأضرحة والقبور.

الطواف عبادة، وقد تعبَّدنا الله بالطواف حول بيته العتيق. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وعليه: فمن طاف ببيت غير بيت الله من قبر أو ضريح أو مشهد أو غير ذلك معظمًا لما يطوف متقربًا إليه أو به، فقد ابتدع وأشرك، وطوافه ذلك شرك أكبر، وبدعة ضلالة، ومن أشنع البدع وأقبحها لما فيه من التشريع، وهو حق الله تعالى وحده دون سواه، فلا يجوز لمسلم أن يطوف بأي بناء، أو أن يتمسح بأي جدار، أو يُقبِّل حجرًا غير الحجر الأسود، فالذي يطوف بالقبور والقباب، ويقبِّل الأعتاب، ويتمسح بالجدران، والحديد المنصوب حول الضريح فقد أشرك.

فالتوحيد التوحيد، قال ابن عيينة- رحمه الله-: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرَّفهم «لا إله إلا الله». فالهدايةُ للتوحيد فضلُ الله يؤتيه من يشاء، قال الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

«اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم». [صحيح الترغيب ٣٦].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

درر البحار

(٥٥)

مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد

علي حشيش

١٥٤٩- عن عائذ بن عمرو رضي اللهُ عنه أنه دَخَلَ على عبيدِ الله بنِ زيادٍ فقال: أي بُني، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ شرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ(١)، فإياكَ أن تكونَ منهم، فقال له: اجلسْ فإنما أنتَ من نخالةِ أصحابِ محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالةُ بعدَهم وفي غيرِهم. م(١٨٣٠)، حم (٢٠٦٦٢)، حب(٤٥١١).

١٥٥٠- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، ومَنْشَطكَ ومَكْرَهكَ وأَثَرَةٍ عَلَيْكَ». م(١٨٣٦)، حم (٨٩٦٢)، ن(٤١٦٦)، (٤/٧٧٧٦-كبرى).

١٥٥١- عن أبي ذرٍ رضي اللهُ عنه قال: إنَّ خَلِيلي أوْصَاني أنْ أسْمَعَ وأُطِيعَ وإنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأطْرَافِ. م(١٨٣٧)، جه(٢٨٦٢)، حم(٢١٤٨٤)، (٢١٥٥٧).

١٥٥٢- عن يحيى بن حصينٍ رضي اللهُ عنه قال: سمعتُ جدتي تحدِّث أنها سمعَتْ النبيَّ ﷺ يخطبُ في حَجَّةِ الوداعِ وهو يقولُ: «ولَو استُعْمل عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بكتابِ الله فاسْمَعُوا لَهَ وأَطِيعُوا». م(١٨٣٨)، حم(٢٧٣٣٤)، ن(٤٢٠٣)، (٤/٧٨١٥-كبرى)، جه(٢٨٦١).

١٥٥٣- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّمَا الإمَامُ جُنَّةٌ(١)، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ ويُتَّقَى به، فَإنْ أمَرَ بتقوى الله عزَّ وجلَّ وعَدَلَ، كَانَ لَهُ بذَلِكَ أجْرٌ، وإنْ يَأمُرْ بِغَيْرِهِ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ». م(١٨٤١)، حم(١٠٧٨١).

١٥٥٤- عن علقمةَ بنِ وائلٍ الحَضْرَميِّ رضي الله عنه عن أبيه قال: سأل سلمةُ بنُ يزيدَ الجُعفيُّ رسولَ الله ﷺ فقال: يَا نَبيَّ الله، أرَأيْت إنْ قَامَتْ علينا أمراءُ يسْألُونا حَقَّهُمْ ويمنعُونا حقَّنا، فمَا تَأْمُرُنا ؟ فأعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَألَهُ فأعْرَضَ عنْهُ، ثُمَّ سَألَهُ في الثانيةِ أو في الثالثةِ فَجَذَبَهُ الأشعثُ بنُ قيسٍ، وقال: «اسْمَعُوا وأطيعُوا فإنَّما عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ». م(١٨٤٦)، ت(٢١٩٩).

١٥٥٥- عن جندبِ بنِ عبدِ الله البَجليِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قُتلَ تَحْتَ رايةٍ عُمِّيَّةٍ(١) يدْعُو عصبيَّةً أو ينْصُرُ عصَبيَّةً فقِتْلَةٌ جاهليةٌ». م(١٨٥٠)، ن(٤١٢٦)، (٢/٣٥٨٠-كبرى)، حب(٤٥٧٩).

١٥٥٦- عن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يدًا منْ طاعةٍ لَقِيَ الله يَوْمَ القيامةِ لا حُجَّةَ لَهُ، ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ في عُنقه بَيْعَةٌ مَاتَ ميتةً جاهليَّةً». م(١٨٥١)، حم(٥٥٥١)، (٦٤٢٣).

١٥٥٧- عن عَرْفجةَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّهُ ستَكُونُ هَنَاتٌ(٢) وهَنَاتٌ، فمَنْ أراد أن يُفَرِّقَ أمْرَ هذه الأمَّة وهِيَ جميعٌ، فاضْرِبُوهُ بالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ». م(١٨٥٢)، حم (١٨٣٢٣)، (٢٠٢٩٩)، د(٤٧٦٢)، ن(٤٠٣٢)، (٤٠٣٣)، (٤٠٣٤٠)، وكبرى (٣٤٨٣)، (٣٤٨٤)، (٢/٣٤٨٥).

١٥٥٨- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بُويعَ لِخَليفتَيْنِ، فاقْتُلُوا الآخَرَ منْهُما». م(١٨٥٣).

١٥٥٩- عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستَكُونُ أمَراءُ فتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَنْ عرَف بَرِئَ، وَمَنْ أنْكَرَ سَلِمَ ولَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قالوا: أفَلاَ نُقَاتِلُهم ؟ قال: «لا، مَا صَلَّوْا». م (١٨٥٤)، حم(٢٦٦٣٩)، د(٤٧٦٠)، (٤٧٦١)، ت(٢٢٦٥).

١٥٦٠- عن عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «خِيَارُ أئمَّتكُمْ الذين تُحبُّونَهُم ويُحبُّونَكُمْ، ويُصلُّونَ عليْكُمْ وتُصلُّون عَلَيْهِم، وشِرَارُ أئمتكُمْ الَّذينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتَلعنُونَهُمْ ويَلْعَنُونَكُمْ». قيل: يا رسولَ الله، أفلا نُنَابِذُهُمْ بالسيف ؟ فقال: لا، مَا أقامُوا فِيكُمْ الصَّلاةَ، فإذا رَأيْتُمْ مِنْ وُلاتِكُمْ شَيئًا تَكْرَهُونَهُ،

فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». م(١٨٥٥)، حم(٢٤٠٣٦)، (٢٤٠٥٤)، حب(٤٥٨٩)، هق (٨/١٥٨).

١٥٦١- عن مَعْقِلِ بنِ يسارٍ رضي اللهُ عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ والنَّبيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائةً، قَالَ: لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى المَوت، ولَكِنْ بَايعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نَفرَّ. م(١٨٥٨).

١٥٦٢- عن جريرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يلوي ناصيةَ فرسٍ بإصْبَعِهِ، وهو يقول: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَواصِيهَا الخَيْرُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ: الأَجْرُ والغَنِيمَةُ».

م(١٨٧٢)، حم (١٩٢١٧)، ن(٣٥٧٤)، (٣/٤٤١٤- كبرى)، حب (٤٦٦٩).

١٥٦٣- عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكْرَهُ الشكَالَ مِنَ الخَيْلِ. م(١٨٧٥)، حم(٧٤١٢)، (٩٦٣٢)، (١٠١٦٤)، د(٢٥٤٧)، ت(١٦٩٨)، ن(٣٥٦٨)، (٣٥٦٩)، (٤٤٠٧، ٣/٤٤٠٨- كبرى)، جه (٢٧٩٠)، حب(٤٦٧٧)، (٤٦٧٨)، هق (٦/٣٣٠).

١٥٦٤- عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غَدْوَةٌ فِي سَبيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشمسُ وَغَرَبَتْ». م(١٨٨٣)، حم(٢٣٦٤٧)، ن(٣١١٩)، (٣/٤٣٢٧- كبرى).

١٥٦٥- عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ للشَّهيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ». م(١٨٨٦)، حم (٧٠٧١).

١٥٦٦- عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أبدًا». م(١٨٩١)، حم (٧٥٧٨)، (٨٤٨٧)، (٨٦٤٥)، (٨٩٣٠)، (٩١٧٤)، (٨٨٢٤)، (٩٣٥٣)، د(٢٤٩٥).

١٥٦٧- عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رضي اللهُ عنه قال: جاء رجلٌ بناقةٍ مَخْطُومَةٍ، فقال: هذه في سبيلِ الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بِهَا يَوْمَ القيامة سَبْعُمائة ناقة كُلُّها مَخْطُومَةٌ». م(١٨١٢)، حم(١٧٠٩٣)، ن(٣١٨٧)، (٣/٤٣٩٦-كبرى)، حب (٤٦٤٩)، (٤٦٥٠).

١٥٦٨- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إِنِّي أُبْدِعَ بي فاحملني. فقال «ما عندي» فقال رجلٌ: يا رسولَ الله؛ أنا أدُلُّهُ على مَنْ يحْمِلُهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجرِ فَاعله». م(١٨٩٣)، حم (١٧٠٨٣)، (٢٢٤٠٢)، (٢٢٤١٤)، د(٥١٢٩)، ت(٢٦٧١).

١٥٦٩- عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قال: يا رسولَ الله، إني أُريدُ الغزو وليس معي ما أتَجَهَّزُ به، قال: ائتِ فُلانًا فإنَّه تجهَّزَ فمرض، فأتاهُ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ ويقولُ: أعْطني الذي تجهَّزتَ به، فقال: «يا فلانةُ أعطيه الذي تَجهَّزتُ بِهِ وَلاَ تَحْبِسي، عَنْهُ شيئًا، فوالله لا تحْبِسِي مِنْهُ شيئًا فَيُبَارَكُ لك فيه». م(١٨٩٤)، حم(١٣١٥٩)، د(٢٧٨٠)، حب(٤٧٣٠).

١٥٧٠- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ بَعثَ بَعْثًا إلى بَنِي لحيان مِنْ هُذيل، فقال: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أحدُهُما والأجْرُ بَيْنَهُمَا». م(١٨٩٦)، حم (١١٣٠١)، (١١٥٢٧)، د(٢٥١٠)، حب (٤٧٢٩).

١٥٧١- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُرْمَةُ نساء المُجاهدينَ على القاعدينَ كحُرْمَةِ أُمَّهاتهم، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ القاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً من المُجَاهِدِينَ في أهْله فيخُونُهُ فيهمْ، إلاَّ وُقِفَ لهُ يوْمَ القيامة فيأخُذُ مِنْ عَمله ما شاء، فما ظنُّكُمْ؟». م(١٨٩٧)، حم(٢٣٠٣٨)، (٢٣٠٦٦)، د(٢٤٩٦)، ن(٣١٨٩)، (٣١٩٠)، (٣١٩١)، (٤٣٩٨، ٤٣٩٩، ٣/٤٤٠٠-كبرى)، حب (٤٦٣٤)، (٤٦٣٥)، هق(٩/١٧٣).

١٥٧٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ غازيةٍ تغْزُو في سبيل الله فيُصيبُونَ الغنيمة إلاَّ تعجَّلُوا ثُلُثَيْ أجْرِهمْ مِنْ الآخرة ويَبْقَى لهُمُ الثُّلُثُ وإنْ لَمْ يُصيبُوا غنيمةً تمَّ لهُمْ أجْرُهُمْ». م(١٩٠٦)، حم(٦٥٨٨)، د(٢٤٩٧)، ن(٣١٢٥)، (٣/٤٣٣٣-كبرى)، جه (٢٧٨٥)

١٥٧٣- عن أنس بن مالك رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ طلبَ الشَّهادة صادقًا أُعْطيها ولوْ لمْ تُصبْهُ». م(١٩٠٨).

مختارات من علوم القرآن

فضائل ولطائف

سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما زال حديثنا متصلاً حول فضائل ولطائف سورة آل عمران، ونتحدث بإذن الله تعالى في هذا العدد عن ثلاث آيات وهي الخامسة والثلاثون، والسادسة والثلاثون، والسابعة والثلاثون: من قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

«امرأة عمران»: أم مريم، فهي جدة عيسى عليه السلام، وعمران هو ابن ماثان جد عيسى وليس نبياً وليس بعمران أبي موسى عليه السلام؛ لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة، وقيل: كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم.

سبب قول امرأة عمران

قال القرطبي: قيل: إن سبب قول امرأة عمران هذا أنها كانت كبيرة لا تلد، وكانوا أهل بيت من الله بمكان وإنها كانت تحت شجرة فبصرت بطائر يزق فرخا (أي يطعمه بفيه)، فتحركت نفسها لذلك، ودعت ربها أن يهب لها ولداً، ونذرت أن تجعل ولدها محرراً، أي: عتيقاً لله تعالى، خادماً لبيت المقدس حبيساً عليه مفرغاً لعبادة الله تعالى، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، وكان أولادهم يطيعونهم، فلما وضعت مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ أي: أن الأنثى لا تصلح لخدمة بيت المقدس، قيل: لما يصيبها من الحيض والأذى. وقيل: لا تصلح لمخالطة الرجال، وكانت ترجو أن يكون ذكراً، فلذلك حررت.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾.

قال محمد بن يزيد: التقدير اذكر إذ. وقال الزجاج: المعنى: واصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران، وهذا التركيب موجود في القرآن كثيراً، وإنما حذف العامل لدلالة السياق عليه، وتلك قاعدة مشهورة عند النحويين.

فهنا العامل المحذوف معلوم بالسياق، (اذكر إذ قالت)، اذكر هذه الحال التي صدر فيها هذا القول من امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ وهي أم مريم، يعني جدة عيسى ابن مريم، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾.

«ربِّ»: منادي حذف منه حرف النداء، وأصله: يا رب، وحذف منه ضمير المتكلم (الياء) تخفيفاً، وأصله: (ربي).

قولها: (نذرت): قال القرطبي: كانت النذور من سيرة العرب تكثر منها. ومعنى النذر في شريعة الإسلام: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. أي أنه لا يَلْزَمُ العبد إلا بأن يُلزم نفسه.

وقول امرأة عمران (نذرت) بمعنى: التزمت أن يكون ما في بطني محرراً من خدمتي ليكون خادماً للمسجد الأقصى، وكان من عادتهم أن يفعلوا ذلك، أي أن الإنسان منهم ينذر ولده ليكون قائماً بخدمة المسجد الأقصى تعظيماً له.

ومعنى (لك) أي: لعبادتك.

وقولها: (ما في بطني)، (ما) اسم موصول يفيد

العموم فيشمل ما لو وضعت واحدًا أو اثنين، ذكرًا أو انثى.

«محررًا» مأخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية، من هذا تحرير الكتاب، وهو تخليصه من الاضطراب والفساد، وعن عكرمة ومجاهد: أن المحرر الخالص لله عز وجل لا يشوبه شيء من أمر الدنيا.
وقوله: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ يعني: تقبل مني هذا التقرب إليك، بنذر هذا الحمل الذي نذرته ليقوم بخدمة بيتك.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: هذه الجملة: استئنافية للتعليل، يعني أني سألتك أن تتقبل مني لأنك السميع العليم.

«السميع»: يشمل هنا سمع الإدراك وسمع الإجابة، يعني أنك تسمع دعائي وتستجيبه، و«سمع» تأتي بمعنى استجاب كما في قول المصلي: «سمع الله لمن حمده» أي: استجاب. وقولها: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني السامع لدعائي المستجيب له، العليم بما يكون صالحًا، وبكل شيء، لكن العلم هنا لأن الإنسان قد يسأل الشيء وليس من صالحه حصوله، فيسند الأمر إلى علم الله عز وجل، ومن المعلوم أن الداعي إذا دعا فإنه يحصل له واحد من أمور ثلاثة: إما أن يستجيب الله له الدعاء، وإما أن يدخر ذلك له يوم القيامة فيعطيه مثل ما دعا به، وإما أن يصرف عنه من السوء ما هو أعظم. هذا بالإضافة إلى أن الدعاء نفسه عبادة يُثاب عليها الإنسان.

وقوله: «فلمَّا وضعتها»، ولم يقل: فلما وضعته، مراعاة للمعنى ؛ لأنها وضعت أنثى. فلما وضعتها وكانت قد نذرته محررا بناء على أنه ذكر، لما وضعتها اعتذرت لربها، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، وهذا اعتذار منها إلى الله أنها وضعتها أنثى، والأنثى ليس من العادة أن تخدم المسجد، فكأنها تعتذر إلى الله عز وجل من هذا النذر.

قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بضم التاء وإسكان العين، وقرأ الباقون (منهم حفص عن عاصم) بفتح العين وإسكان التاء، فعلى قراءة (والله أعلم بما وَضَعْتُ) بضم التاء وإسكان العين جُعل من كلام أم مريم، لاتصال كلامها بما بعد ذلك، وما قبله في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، وقولها: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، وقولها: ﴿إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، وقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾، فكله من كلام أم مريم، فحملَ وسط الكلام على أوله وعلى آخره، وذلك حسن في المطابقة والمجانسة كما تقول: ربي قد أذنبت وأنت أعلم بذلك، على طريق التسليم والخضوع، وتكون الجملة من باب الاحتراس، لا يظن أنها تعتقد أن الله لم يعلم.
فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، فلستُ أخبر الله بأمر يخفى عنه، بلى إني أومن بأنه عالم بما وضعتُ.

أما على قراءة (السكون) (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) جعله من كلام الله عز وجل، فالكلام من الله وفيه دفاع عن هذه المرأة بأن الله تعالى يعلم أنها لم تقل: «إني وضعتها انثى» إخبارًا منها لله لأنه سبحانه وتعالى زكاها بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ هذا من وجه، ومن وجه آخر ليبين عز وجل أن قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ لا يعني أن الله لا يعلم بما وضعت بل هو عالم عز وجل(أعلم) اسم تفضيل يدل على أن المفضل زائد على المفضل عليه في هذا الوصف، كما لو قلت: فلان أكرم من فلان، معناه أن هذا المفضل وهو فلانٌ زائد في الكرم على المفضل عليه. فـ(أعلم) هنا يعني: أعلم من كل أحد بما وضعت، ففيه إثبات العلم لله عز وجل مع الزيادة، وبهذا التقرير نعلم ضعف قول من قال: إن اسم التفضيل هنا بمعنى اسم الفاعل، وأن معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ أي: (والله عالم بما وضعت)، فإن هذا القول لا شك قصور في تفسير كلام الله، لأن إثبات العلم بلا تفضيل أنقص

من إثبات العلم مع التفضيل، لأنك إن قلت: فلان عالم لا يمنع أن يكون غيره مساويا له في العلم وغيره مفضول ولا أدري -سبحان الله- كيف يفر بعض العلماء من إثبات المفاضلة بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه، مع أن المفاضلة لا تدل على أي نقص، بل اللفظ الذي يقتضي المشاركة هو الذي قد يحتمل النقص والمماثلة، لكن اللفظ الدال على المفاضلة ليس فيه نقص بوجه من الوجوه، فالله أعلم من كل أحد سواء كان هذا العلم مقيدا أو مطلقًا.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ (ما): اسم موصول، والضمير العائد مفعول به محذوف، أي: بما وضَعَتْهُ (بسكون التاء) أو بما وضَعْتُهُ (بضم التاء) على القراءتين، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها أي مريم خير من مطلق الذكر الذي سألته.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾، وهذا الخبر مستعمل في التحسر لفوات ما قصدته من أن يكون المولود ذكرا، فتحرره لخدمة بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ تقوله أمها، وهذا الاسم إما أن يكون مشهورا عندهم، أو أنها اختارته لأمر يريده الله عز وجل، والله أعلم ما هو السبب أنها اختارت هذا الاسم. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾.

«أعيذها»: أي استجير بك لها ؛ لأن الاستعاذة معناها الاستجارة من أمر مكروه، ولهذا نستعيذ من الشيطان الرجيم، ونستعيذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، قال أهل اللغة: (العياذ من المكروه، واللياذ في رجاء المحبوب) إذن (أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) يعني استجير بك لها من الشيطان الرجيم، والشيطان هو أبو الجن، كما قال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف: ٥٠].

و«الرجيم»: بمعنى المرجوم، وأصل الرجم القذف بالحجارة، ومنه: رجم الزاني، وعلى هذا فتكون في الكلام استعارة، أي أننا استعرنا الرجم بالحجارة الدال على إبعاد المرجوم للمُبعَد المطرود فالرجيم هنا: فعيل بمعنى مفعول، أي مطرود مبعد عن رحمة الله.

و«ذريتها» قال القرطبي: يعني عيسى، وهذا يدل على أن الذرية قد تقع على الولد خاصة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نسخة الشيطان إلا ابن مريم وأمه». ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ تقبل: قال أهل اللغة: بمعنى قَبِل لكن هل تقبّل وقبل بمعنى واحد أو أن في تقبّل شدة عناية ومبالغة؟ قولان: قيل: إن تَقبّلَ بمعنى قَبِل كتعجّب بمعنى عجب، وتبّرأ بمعنى بريء، تقول: تبرأ من فلان بمعنى برئ منه، والقول الثاني: أن تقبل أبلغ من قَبِل، وذلك الغالب أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ففيها شدة العناية والمبالغة.

وقوله تعالى: (ربُّها) الربُّ: بمعنى الخالق، المالك، المدبر. وربوبية الله نوعان: عامة وخاصة ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [مريم: ٦٥] هذه عامة، والخاصة مثل ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وهنا (ربَّها) من الخاصة.

قوله تعالى: ﴿ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ والقبول الحسن من الله أنه سبحانه وتعالى يسرَّها لليسرى وسهَّل أمرهاوجعلها من خيرة نساء العالمين، حتى ألحقها بالرجال في صلاحها، فقال: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢].

وتأمل أنه قال: من القانتين، ولم يقل: من القانتات، لأنه كما جاء في الحديث: «كمل من الرجال

كثير، ولم يكمل من النساء إلا قليل». رواه البخاري ومسلم.

وقوله: ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ قد يعود إلى المعنى، وقد يعود إلى الحسن، فالمعنى أنبتها نباتًا حسنًا يعني في كمال الأدب والعفة والحشمة وغير ذلك، وقد يكون أنبتها نباتًا حسنًا باعتبار الجسم، يعني أنه نماها تنمية جيدة، لم يتعثر فيها جسمها.

«وكفَّلها زكريا» هذا أيضًا من التيسير أن الله يسَّر لها من يكفلها من الرسل، ولا شك أن الإنسان إذا كان عنده كافل مستقيم صالح كان هذا من أسباب صلاحه واستقامته، وإذا كان عند فاسق كان بالعكس، ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن يترك الطفل المحضون بيد شخص لا يصونه ولا يصلحه.

«وكفلها» قرأها بتشديد الفاء وفتحها عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقرأها الباقون بالفتح بدون تشديد، ومعنى (كَفَّلها) بالتشديد: أي جعل كفيلها زكريا، عليه السلام (كَفَلها) بدون تشديد، أي صار كافلاً لها.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ المحراب مفْعال من الحرب، وهو مكان العبادة، وليس المحراب هو طاق القبلة كما هو عند الناس، فالمحراب مكان العبادة سواء كان طاقًا أو مربعًا أو حجرة، ولهذا قال الله تعالى في قصة داود: ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص: ٢١]، وسمِّي بذلك لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان. ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ وهي امرأة منقطعة للعبادة دائمًا في محرابها ويجد عندها رزقًا، والرزق هنا ما يقوم به البدن، يعني رزقًا تأكله ليقوم بدنها وتحفظ حياتها.

﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ أي: من أين لك هذا؟ لأنها امرأة لا تكتسب منقطعة للعبادة، والمنقطع للعبادة ولو كان ذكرًا لا يُيسَّر له الرزق، فكان جوابها عجيبًا، ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾، وكلمة (من عند الله) لا يلزم أن يكون الله تعالى ينزلها من السماء إليها، بل قد يكون ذلك بتسخير الله لها من يأتيها بذلك الرزق، ولا يلزم أن يكون ينزل من السماء أو يأتي به جبريل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الرزق: بمعنى العطاء، والعطاء ينقسم إلى قسمين: عطاء كوني، وعطاء شرعي، فالعطاء الكوني: ما يرزق الله به الإنسان والحيوان، الحلال والحرام، لا يختص بالمؤمنين ولا بالطيب من الرزق.

والعطاء الشرعي: وهو ما يعطاه المؤمن من الرزق الحلال فهو الرزق الخاص الذي ليس فيه تبعة، ويشمل أيضًا العطاء الشرعي ما ثبت إعطاؤه بمقتضى الشرع كإعطاء الفقراء من الزكاة مثلاً، وإعطاء الغانمين من الغنيمة، فهذا عطاء وإيتاء شرعي.

«من يشاء» فالرزق لا يكون إلا بمشيئة الله، وهي مربوطة بحكمة، يعطي من يشاء لحكمة، والدليل على أن كل ما أثبت الله فيه المشيئة فهو مقرون بحكمة، قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠].

«بغير حساب» أي: بغير مكافأة، يُطْعِم ولا يُطْعَم، يَرزق ولا يُرزق، ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٧، ٥٨]، بخلاف غيره، فإنه قد يعطي ليُعطى، أما الله عز وجل فإنه يعطي لا ليعطى بل يرزق بغير حساب، وأما الحساب على ما أعطاه الله من الرزق من أين اكتسبه وفيم أنفقه وما أشبه ذلك، فإن هذا سوف يكون، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، يعني: لا يحاسب خلقه ليكافئوه، ولكن يحاسبهم لينظر أو ليعلم عز وجل ماذا فعلوا فيما أعطاهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيعة الرافضة

تاريخ وحقائق

الحلقة الرابعة

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام

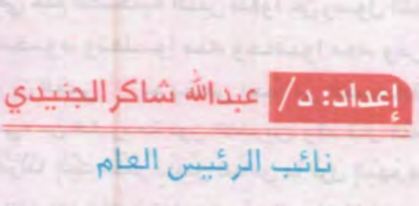

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عقيدة الرافضة في القرآن الكريم

انعقد إجماع المسلمين على أن كتاب الله- عز وجل- محفوظ بحفظ الله تعالى له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: الآية ٩].

وقال سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية ٤٢].

ومن اعتقد بعد هذا أن في القرآن نقصا أو تحريفا فليس من الإسلام في شيء، لتكذيبه لنصوص القرآن الكريم، وقد قال بعض الشيعة بهذا القول وأقروه، وقد نسب الأشعري ذلك لطائفة منهم، وذكر أنهم قالوا: «إن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون غير منه شيء عما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه، والإمام يحيط علمًا به»(١).

كما أشار البغدادي إلى أن من الرافضة من زعم أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه، واعتبر البغدادي ذلك من موجبات الحكم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام(٢).

أما ابن حزم فقد نسب القول بالتحريف إلى الإمامية كلها، ولم يستثن من أعلام الإمامية إلا ثلاثة نجوا من الوقوع في هذه الهاوية(٣)، وسأنقل هنا بعض أقوال أئمتهم الذاهبين إلى وقوع التحريف في القرآن الكريم:

يقول أحد مشايخهم محمد بن محمد العكبري الملقب بـ «المفيد»: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدث بعض الطاعنين فيه من الحذف والنقصان»(٤).

كما أورد الكليني في كتابه «الكافي» روايات في تحريف القرآن، وهو من الكتب المعتبرة عندهم، ولذلك قال الفيض الكاشاني عنه: «إنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن»(٥).

وفي القرن الثالث عشر الهجري ألَّف شيخهم ومن يحظى بالتعظيم عندهم «حسن النوري الطبرسي» مؤلفًا كبيرًا جمع فيه أقوال المتقدمين منهم في تحريف القرآن وسماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، وقد كشف الطبرسي بهذا الكتاب حقيقة موقف الرافضة ومراجعهم في القرآن الكريم، وأبان عما يحملونه من كيد حاقد، وعداوة مبيتة ضد كتاب الله، وقد أشار في مقدمة كتابه إلى سبب تأليفه فقال: «... فيقول العبد المذنب المسيئ حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي- جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه- هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته: «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»(٦).

ولا شك أن الخميني يذهب إلى ما ذهب إليه غيره من الروافض في القول بوقوع التحريف في القرآن الكريم، وهو وإن لم أقف على تصريح له- من باب التقية- في هذه القضية، إلا أنه يستقي حديثه من كتاب «مستدرك الوسائل»، ويترحَّم على صاحبه، وهو صاحب كتاب فصل الخطاب السابق ذكره، كما أنه يستقي معلوماته أيضا من تفسير الصافي، وهو من القائلين بوقوع التحريف في القرآن الكريم(٧).

وإليك أيها القارئ الكريم بعض النماذج التي ذكرها هؤلاء القوم وزعموا أنها محرفة وناقصة، وذلك من كتبهم هم:

قال القمي: «وأما ما هو محرف فمنه قوله: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ (في علي) ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء: الآية ١٦٦]، وقال في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (في علي) ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: الآية ٦٧](٨)، ويروي الكليني عن الرضا في قول الله تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ بولاية علي ﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ يا محمد من ولاية علي»(٩).

ويعقب الدكتور / ناصر القفاري على هذه الافتراءات على القرآن الكريم فيقول: «وهذه الإضافات التي تزعم الشيعة نقصها من كتاب الله، ألا يلاحظ القارئ العربي أن السياق لا يتقبلها، وأنها مقحمة إقحامًا بلا أدنى مناسبة، ولذلك يكاد النص يلفظها، وأنها من وضع أعجمي لا صلة له بلغة العرب، ولا معرفة له بأساليب العربية، ولا ذوق له في اختيار الألفاظ وإدراك المعاني، إن الكلمات المفتراة التي يقدمها هؤلاء المفترون أمثلة للآيات الساقطة بزعمهم، قد كشفت القناع عن كفرهم، كما أنها فضحت كذبهم، وكشفت افتراءهم، فهي محاولات أشبه بمحاولات مسيلمة الكذاب في تقليد القرآن العظيم»(١٠).

ولم يقف الرافضة عند هذا الحد، بل ذهبوا يؤولون القرآن بما يوافق ما هم عليه من معتقدات باطلة، وقد أول ابن المطهر الحلي الرافضي بعض آيات من القرآن لتتفق مع ضلاله وانحرافه، وقد أتى عليها شيخ الإسلام ابن تيمية كاملة، ورد عليها، وبيَّن بطلان الاستدلال بها من وجوه كثيرة، وأطال النفس في هذا بما لا مزيد عليه- رحمه الله تعالى(١١)، كما ذهبوا أيضًا إلى أن القرآن الكريم لا يكون حجة إلا بقيم، وأن القيم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. يقول الكليني ما نصه: «إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وأن عليًا كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله ﷺ...»(١٢).

وهذا في الحقيقة فيه تعطيل للعمل بكتاب الله وطعن في علم الصحابة الذين تلقوا عن رسول الله ﷺ وصحبوه، وتعلموا منه، وجاهدوا معه، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يخص أحدًا من الصحابة بعلم شيء من الشريعة دون الآخرين، وقد قال الله له: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: الآية ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس، وليس لفرد أو طائفة بعينها، حتى ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أن يكون قد خصه رسول الله ﷺ بعلم شيء دون الناس، وهذا هو الحق الثابت، ويلزم من قول الروافض هذا- كما أشرت سابقًا- رد علم جميع الصحابة والسلف والأئمة بعدهم، وقد صرح بهذا بعض شيوخهم في العصر الحاضر، فقال: «إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة

لها ولا يعتد بها(١٣)، وقد رد ابن تيمية على ابن المطهر الحلي مثل هذا الزعم فقال: «وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة، ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأُبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار، وروايته عن علي قليلة جدًا، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئًا من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم، وأيضًا فالتفسير أخذ عن غير ابن عباس، أخذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الذين لم يأخذوا عن علي شيئًا، وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عنه، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي فيها عن علي قليل جدًا»(١٤).

عقيدة الرافضة في الغيبة

القول بالإمام الغائب من عقائد الشيعة الرافضة، وإن اختلفوا في هذا الغائب، وتعتبر السبئية أول فرقة قالت بها، حيث زعمت أن عليًا لم يُقتل ولم يمت، وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا(١٥).

ويطول الحديث هنا عن ذكر حماقات الشيعة في ادعائهم الغيبة لبعض الأئمة، ولذلك سأقتصر في حديثي على ما ذهبت إليه الشيعة الاثنا عشرية القائلون باثني عشر إمامًا، وقد اخترعوا القول بالغيبة، بعد وفاة إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ، وكان عقيمًا ولم يعرف له ولد ظاهر، واقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه(١٦).

وعندئذ اضطرب أمر الشيعة، لأنهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، وسينهدم بذلك بنيانهم الذي بنوه وافتروه في نظرية الإمامية، فاخترعوا لذلك مسألة الغيبة، وقالوا بأن الحسن العسكري تزوج بجارية وأنجبت له ولدًا سماه محمدًا، وقد ذكروا في قصة زواجه وحمل زوجته قصصًا واهية نسجوها من صنع خيالهم، وقد وضعوا في ذلك روايات كاذبة كي تستر فضيحتهم، ومنها: «يبعث الله لهذا الأمر غلامًا منا، خفي الولادة والمنشأ»(١٧). ثم ما لبث أن غاب هذا المولود، وكان عمره آنذاك خمس سنوات(١٨).

وكانت هذه بداية الغيبة الصغرى التي امتدت سبعين عامًا من عام ٢٦٠- ٣٢٩هـ(١٩)، كان له فيها وكلاء وسفراء يتصلون به، ولما طال أمد الغيبة ولم يظهر- لأنه معدوم- خشي هؤلاء من سقوط فريتهم وافتضاح أمرهم، فأعلنوا أن الغيبة تحولت من غيبة صغرى إلى غيبة كبرى، ولنا أن نتساءل: لماذا تحولت غيبة المعدوم الصغرى عام ٣٢٩هـ إلى غيبة كبرى استمرت إلى عصرنا الحاضر ولم يظهر بعد؟ والجواب نتركه للشيعة أنفسهم.

يقول محمد الصدر معللاً إنهاء الغيبة الصغرى ونقلها إلى كبرى بما يلي: «صعوبة الزمان، وازدياد المطاردة والمراقبة من قبل الجهاز الحاكم ومن والاه للقواعد الشعبية الموالية للإمام المهدي، وعدم إمكان المحافظة على السرية الملتزمة في خط السفارة لو طال بها الزمان أكثر من ذلك، وانكشاف أمرها شيئًا فشيئًا... ولئن استطاع السفراء أن يخفوا سفارتهم لمدة سبعين عامًا، فإنه لن يكون ذلك مستطاعًا إلى الأبد، وسوف ينكشف بحسب طبيعة الأشياء أمر السفير، ومعه يتعذر عليه العمل، إن لم يؤد إلى التنكيل به تحت سياط السلطات»(٢٠).

وهم بقولهم هذا يسيئون إلى أئمتهم وهم لا يشعرون؛ إذ كيف يكون إمامًا وهو يفر من عبادة المجاهدة وتحمل المشاق في سبيل الله(٢١)، وما الفائدة التي تعود على الأمة الإسلامية من غيبته؟ ولهذا كان هذا المعتقد مثارًا للسخرية بين الناس.

يقول الإمام ابن القيم: «ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل»(٢٢).

وهذا حق؛ لأن الغيبة المزعومة تجاوزت الآن أكثر من ألف ومائة عام، ولم يظهر لهم إمام مع طول انتظارهم.

ويفند الإمام ابن تيمية- رحمه الله- زعمهم الفاسد في الغيبة فيقول: «... سواء قُدّر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به، لا في دين ولا في دنيا، ولا علّم أحدًا شيئًا، ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة، ولا

مصالحها، لا الخاصة ولا العامة، بل إن قُدِّر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً، فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة...، وإذا قالوا: إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم. قيل: أولاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائه ولم يحتجبوا، وقيل: ثانياً: فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات، أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين، وقيل: ثالثاً: قد كان يمكن أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته...»(٢٣).

ثم زعم الشيعة بعد ذلك أن الفقيه المجتهد ينوب عن الإمام الأسطوري الغائب في كل شيء عدا البدء في الجهاد، وقد كتب الخميني كتابه المشهور «الحكومة الإسلامية» أو «ولاية الفقيه» لتأييد هذا الرأي، واعتبر نفسه نائباً عن الإمام الغائب(٢٤)، وقد بنوا عقيدتهم في الرجعة على الغيبة المزعومة، فهم يعتقدون أن إمامهم الثاني عشر سيرجع بعد غيبته الكبرى، وهم ينتظرون خروجه حتى الآن، والغرض من الرجعة عند الشيعة هو انتقام الأئمة والشيعة من أعدائهم- وهم سائر المسلمين من غير الشيعة- ما عدا المستضعفين(٢٥).

يقول الشيخ محمد منظور نعماني: «عقيدة الرجعة من العقائد الخاصة بالشيعة، وهي ذاتها فرع من فروع عقيدة الإمامة، وتعني أن الإمام المهدي الغائب حين يظهر ويخرج من الغار في ذلك الوقت يبعث الرسول ﷺ وأمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين، وجميع الأئمة والخواص المقربين، يبعث هؤلاء أحياء، فيخرجون من قبورهم ويبايع جميعهم المهدي، ويكون رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي المرتضى أول من يبايعه، ويبعث أبو بكر وعمر وعائشة ومن والاهم من خواص الكفار والمنافقين أحياء، فيتم عقابهم»(٢٦)، ولا يملك العاقل أمام هذه الأقوال إلا أن يعجب من سذاجة هؤلاء القوم وقلة عقولهم، وخروجهم الواضح الصريح على نصوص القرآن الكريم.

يقول الألوسي: «مذهب أهل السنة أن الأموات لا رجعة لهم في الدنيا قبل يوم القيامة، وقالت الإمامية قاطبة وبعض الفرق الأخرى من الروافض أيضاً برجعة الأموات...، وهذه العقيدة مخالفة للكتاب، فإن الرجعة قد أبطلت في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قال ربِّ ارْجعُونِ (٩٩) لعلِّي أعْملُ صالحًا فيما تركْتُ كلاَّ إنَّها كلمةٌ هُو قائلُها ومنْ ورائهمْ برْزخٌ إلى يوْم يبْعثُون﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، ولا يخفى أن مناط التمسك ومحطّه إنما هو قوله: ﴿ومنْ ورائهمْ برْزخٌ إلى يوْم يبْعثُون﴾»(٢٧).

الهوامش

١- مقالات الإسلاميين (١/١١٩).
٢- الفرق بين الفرق (ص٣٢٧).
٣- الفصل في الأهواء والملل (٤/٥).
٤- أوائل المقالات في المذاهب المختارات، (ص٥٤).
٥- انظر تفسير الصافي، المقدمة السادسة (ص٥٢).
٦- فصل الخطاب (ص٢).
٧- وجاء دور المجوس (ص١٦٩).
٨- تفسير القمي (١/١٠).
٩- أصول الكافي (١/٤١٨).
١٠- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/٢٤٣).
١١- انظر كتابه النفيس: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٥/٧- ١٩٧).
١٢- أصول الكافي (١/١٨٨).
١٣- الشيعة والرجعة (ص١٩).
١٤- منهاج السنة النبوية (٨/٤٢، ٤٣).
١٥- فرق الشيعة (ص٢٢).
١٦- فرق الشيعة (ص٩٦).
١٧- أصول الكافي (١/٣٤١، ٣٤٢).
١٨- الغيبة للطوسي (ص١٤٢).
١٩- تاريخ الغيبة الصغرى لمحمد باقر (ص٣٤٥).
٢٠- المرجع السابق (ص٦٣١، ٦٣٣).
٢١- مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص١١٨).
٢٢- المنار المنيف (ص١٥٢).
٢٣- منهاج السنة (٤/٨٩، ٩٠).
٢٤- انظر: وجاء دور المجوس (ص١٩٣-١٩٨).
٢٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (٣/٩١٤).
٢٦- الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام (ص١٩١).
٢٧- مختصر التحفة (ص٢٠٠، ٢٠١).

هؤلاء يحبهم الله عز وجل

إعداد/ أيمن دياب

الحمدُ لله الَّذي لا مانعَ لما وَهَب، ولا مُعْطيَ لما سَلَب، طاعتُهُ للعاملينَ أفضلُ مُكْتسب، وتَقْواه للمتقينَ أعْلَى نسَب، هَيَّأ قلوبَ أوْلِيائه للإيمانِ وكَتب، وسهَّلَ لهم في جانبِ طاعته كُلَّ نَصَب، فلَمْ يجدوا في سبيل خدمتِه أدنى تَعَب، وأشْهَدُ أن محمداً عبدهُ وَرَسُولهُ الَّذي اصْطَفاه الله وانتَخَب، صلَّى الله عَلَيْهِ وعلى أصحابه الذينَ اكْتَسَوا في الدِّيْنِ أعْلَى فَخْرٍ ومُكْتَسَب، وعلى التَّابِعينَ لهم بإحْسَانٍ ما أشرق النجم وغرب، وسلَّم تسليماً... وبعد:

إن محبة الله لتشترى بالدنيا كلها، وهي أعلى من أن تحب الله، فكون الله يحبك أعلى من أن تحبه أنت، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ولم يقل: فاتبعوني، تصدقوا في محبتكم لله. مع أن الحال تقتضي هذا، ولكن قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولهذا قال بعض العلماء: الشأن كل الشأن في أن الله يحبك لا أنك تحب الله.

كل يدعي أنه يحب الله، لكن الشأن في الذي في السماء عز وجل، هل يحبك أم لا؟ إذا أحبك الله عز وجل، أحبتك الملائكة في السماء، ثم يوضع لك القبول في الأرض، فيحبك أهل الأرض، ويقبلونك، ويقبلون ما جاء منك وهذه من عاجل بشرى المؤمن.

إن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ،بل يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ،ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ،متبعين في ذلك كتاب الله والسنة وما ورد عن سلف الأمة ،ثم هم ينكرون على من حرَّف صفات الله أو مثَّل الله بخلقه ،لأن ذلك تعدٍّ على النصوص وقول على الله بلا علم ،إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ،فكما أنه عز وجل لم يخبرنا عن كيفية ذاته ،فكذلك لا نعلم كيفية صفاته ،لكننا نثبتها كما يليق بجلاله وعظمته.

قال نعيم بن حماد الخزاعي- رحمه الله-:(من شبه الله بخلقه فقد كفر ،ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه).

لذا إثبات صفة المحبة لله وهي من الصفات الفعلية،قد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، محبة تليق به عز وجل، وهي محبة حقيقية على ظاهرها؛ وليس المراد بها الثواب؛ ولا إرادة الثواب خلافاً للأشاعرة، وغيرهم من أهل التحريف الذين يحرفون هذا المعنى العظيم إلى معنى لا يكون بمثابته؛ فإن مجرد الإرادة ليست بشيء بالنسبة للمحبة؛ وشبهتهم أن المحبة إنما تكون بين شيئين متناسبين؛ وهذا التعليل باطل، ومخالف للنص، ولإجماع السلف، ومنقوض بما ثبت بالسمع والحس من أن المحبة قد تكون بين شيئين غير متناسبين؛ فقد أثبت النبي ﷺ أن أُحُداً- وهو حجر- جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ (١).

هؤلاء يحبهم الله عزوجل

أثبت الله تبارك وتعالى محبته لمن اتصف من خلقه ببعض الصفات، وهذه الصفات منها ما ورد

في القرآن الكريم ومنها ما ورد في السنة المطهرة؛

أولاً: من القرآن:

١- المُحْسِنون:قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

الإحسان قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً مندوباً إليه، فما كان يتوقف عليه أداء الواجب، فهو واجب، وما كان زائداً على ذلك فهو مستحب.

والإحسان يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة الخلق:

فالإحسان في عبادة الله فسره النبي ﷺ حين سأله جبريل فقال: ما الإِحْسَانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ». وهذا أكمل من الذي بعده، لأن الذي يعبد الله كأنه يراه يعبده عبادة طلب ورغبة، «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٢)، أي: فإن لم تصل إلى هذه الحال، فاعلم أنه يراك والذي يعبد الله على هذه المرتبة يعبده عبادة خوف ورهب، لأنه يخاف ممن يراه.

وأما الإحسان بالنسبة لمعاملة الخلق؛ فقيل في تفسيره: بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

بذل الندى: أي: المعروف، سواء كان مالياً أم بدنياً أم معنوياً.

كف الأذى: أن لا تؤذي الناس بقولك ولا بفعلك.

وطلاقة الوجه: أن لا تكون عبوساً عند الناس، لكن أحياناً الإنسان يغضب ويعبس، فنقول: هذا لسبب، وقد يكون من الإحسان إذا كان سبباً لصلاح الحال. ولهذا، إذا رجمنا الزاني أو جلدناه، فهو إحسان إليه.

ويدخل في ذلك إحسان المعاملة في البيع، والشراء، والإجارة، والنكاح... وغير ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا تعليل للأمر، فهذا ثواب المحسن، أن الله يحبه، ومحبة الله مرتبة عالية عظيمة.

٢- التَّوَّابون:قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

التواب: صيغة مبالغة من التوبة، وهو كثير الرجوع إلى الله، والتوبة هي الرجوع إلى الله من معصيته إلى طاعته.

ومعلوم أن كثرة التوبة تستلزم كثرة الذنب، ومن هنا نفهم بأن الإنسان مهما كثر ذنبه، إذا أحدث لكل ذنب توبة، فإن الله تعالى يحبه، والتائب مرة واحدة من ذنب واحد محبوب إلى الله عز وجل من باب أولى، لأن من كثرت ذنوبه وكثرت توبته يحبه الله، فمن قلت ذنوبه، كانت محبة الله له بالتوبة من باب أولى.

٣- المُتَطَهِّرون:قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

الذين يتطهرون من الأحداث ومن الأنجاس في أبدانهم وما يجب تطهيره.

وهنا جمع بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن: طهارة الباطن بقوله: ﴿التَّوَّابِينَ﴾، وطهارة الظاهر بقوله: ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

٤- المتابعون للنبي ﷺ:قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

٥- المُتَّقون: قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

المتقون هم الذين اتخذوا وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، هذا من أحسن وأجمع ما يقال في تعريف التقوى.

لما روى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديث عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ رضي الله عنه مَرْفُوعًا «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ الْبَأْسُ» (٣).

٦- الصَّابرون: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قال الرَّاغب:(الصَّبْرُ الإِمْسَاكُ فِي ضِيقٍ، صَبَرْتُ الشَّيْءَ حَبَسْتُهُ، فَالصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ أَوْ الشَّرْعُ. وَتَخْتَلِفُ مَعَانِيهِ بِتَعَلُّقَاتِهِ:فَإِنْ كَانَ عَنْ مُصِيبَةٍ سُمِّيَ صَبْرًا فَقَطْ، وَإِنْ كَانَ فِي لِقَاءِ عَدُوٍّ سُمِّيَ شَجَاعَةً، وَإِنْ كَانَ عَنْ كَلَامٍ سُمِّيَ كِتْمَانًا، وَإِنْ كَانَ عَنْ تَعَاطِي مَا نُهِيَ عَنْهُ سُمِّيَ عِفَّةً)اهـ (٤).

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:(عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْس ذَاكَ لأحَدٍ إلا لِلْمُؤْمنِ إنْ أصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (٥).

٧- المُتوكِّلونَ: قال تعالى: ﴿فتوكَّلْ علَى اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتوكِّلينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

التوكل:هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها، ولابد من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب، نقص توكله على الله،ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب، فقد طعن في حكمة الله، لأن الله جعل لكل شيء سبباً، ومن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً كان قادحاً في حكمة الله، لأن الله حكيم، يربط الأسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج.

٨- المُقْسطونَ:قال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل، وهذا واجب، فالعدل واجب في كل ما تجب فيه التسوية:

يدخل في ذلك العدل في التوجه إلى الله عزوجل، ينعم الله عليك بالنعم، فمن العدل أن تقوم بشكره، يبين الله لك الحق، فمن العدل أن تتبع هذا الحق.

ويدخل في ذلك العدل في معاملات الخلق: أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، ولهذا قال ﷺ:«فَمَنْ أحَبَّ مِنْكُمْ أنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ موْتَتُهُ وَهُوَ مُؤْمنٌ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إلَيْهِ »(٦).

ويدخل في ذلك العدل بين الأولاد في العطية، قال النبي ﷺ: « فاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أوْلادِكُمْ»(٧).

ويدخل في ذلك العدل بين الورثة في الميراث، فيعطى كل واحد نصيبه، ولا يوصي لأحد منهم بشيء لقوله ﷺ: « إنَّ اللَّهَ قَدْ أعْطَى كُلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصيَّةَ لِوَارِثٍ»(٨).

ويدخل في ذلك العدل بين الزوجات، بأن تقسم لكل واحدة مثل ما تقسم للأخرى لقوله ﷺ:« مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأتَانِ فَمَالَ إلَى إحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»(٩).

ويدخل في ذلك العدل في نفسك، فلا تكلفها ما لا تطيق من الأعمال، لقوله ﷺ:«وإنَّ لِنَفْسكَ عَلَيْكَ حقًا فَصُمْ وأفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ»(١٠).

وللحديث بقية إن شاء الله.

الهوامش

١- صحيح : رواه الإمام البخاري - رحمه الله- في «صحيحه»ح (١٣٨٧)، والإمام مسلم -رحمه الله- في «صحيحه»ح (٢٤٢٨).

٢- صحيح : رواه الإمام البخاري - رحمه الله- في « صحيحه»ح (٤٨)، والإمام مسلم -رحمه الله- في «صحيحه»ح (٩).

٣- حسن: حسنه العلامة الألباني - رحمه الله- في « المشكاة »ح (٢٧٧٥).

٤- (فتح البارى) كتاب «الرِّقَاق» باب «الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّه» (١٨/٢٩٢).

٥- صحيح : رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في « صحيحه»ح (٥٣١٨).

٦- صحيح: صححه العلامة الألباني - رحمه الله- في « صحيح سنن النسائي » (٧/١٥٢) ح (٤١٩١).

٧- صحيح : رواه الإمام البخاري - رحمه الله- في « صحيحه»ح (٢٣٩٨)، والإمام مسلم -رحمه الله- في «صحيحه»ح (٣٠٥٥).

٨- صحيح: صححه العلامة الألباني - رحمه الله- في « صحيح سنن أبي داود » (٣/١١٤) ح (٢٨٧٠).

٩- صحيح: صححه العلامة الألباني - رحمه الله- في « صحيح سنن أبي داود » (٢/٢٤٢) ح (٢١٣٣).

١٠- صحيح: صححه العلامة الألباني - رحمه الله- في « صحيح سنن أبي داود » (٢/٤٨) ح (١٣٦٩).

حدث في مثل هذا الشهر

وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه متبركا بأثر النبي ﷺ سنة ٦٠هـ

مات معاوية رضي الله عنه في شهر رجب سنة ستين، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وقيل: إنه عاش سبعا وسبعين سنة وكان عنده شيء من شعر رسول الله ﷺ وقلامة أظفاره، فأوصى أن تُجعل في فمه وعينيه وقال: افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين. [تاريخ الخلفاء ١/١٧٣].

البيعة للمعتصم محمد بن هارون الرشيد سنة ٢١٨هـ

المعتصم بالله: أبو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة كذا قال الذهبي، وقال الصولي: في شعبان سنة ثمان وسبعين، وأمة أم ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد، وكان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عريًا من العلم.

فروى الصولي عن محمد بن سعيد عن إبراهيم بن محمد الهاشمي قال: كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه فمات الغلام فقال له الرشيد أبوه: يا محمد مات غلامك ؟ قال: نعم يا سيدي واستراح من الكتاب فقال: وإن الكتاب ليبلغ منك هذا ؟ دعوه لا تعلموه قال: فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة.

وقال الذهبي: كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن.

قُلْتُ: هذا تصديق قول النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون». وما كتب لأحد الكمال، ولم يجعل الله تعالى العصمة إلا لرسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال نفطوية والصولي: للمعتصم مناقب، وكان يقال له: المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانيا وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمانية أولاد من الذكور ومن الإناث كذلك ومات لثمان بقين من ربيع الأول، وله محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به غير أنه إذا غضب لا يبالي من قتل، وكان من أشد الناس بطشًا، كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره.

وقال ابن أبي دؤاد: كان المعتصم يخرج ساعده إليَّ ويقول: يا أبا عبد الله عض ساعدي بأكثر قوتك، فأمتنع فيقول: إنه لا يضرني فأروم ذلك فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة، فضلاً عن الأسنان.

بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه وخُتم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب إلى البلاد بذلك وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك، وقاسى الناس منه مشقة في ذلك، وقَتَلَ خلقًا من العلماء وضرب الإمام أحمد بن حنبل. تاريخ الخلفاء ، ١/٢٩١

وبلغه أن هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: وامعتصماه ! فأجاب وهو على سريره: لبيك لبيك! ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالاً من حديد فيها رداؤه وجمع العساكر وأحضر قاضي بغداد عبد الرحمن بن إسحاق ومعه ابن سهل في ثلثمائة وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع، ثلثًا لولده وثلثًا لمواليه وثلثا لوجه الله، وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جمادى الأولى وبعث عجيف بن عنبسة وعمر الفرغاني وجماعة من القواد مددا لأهل زبطرة فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها فأقاموا حتى تراجع الناس واطمأنوا ولما ظفر ببابك فسأله: أي بلاد الروم أعظم عندهم ؟ فقيل له: عمورية فتجهز إليها بما لا يماثله أحد قبله من السلاح والآلة والعدد وحياض الأدم والقرب والروايا. رحم الله الأبطال من الرجال. تاريخ ابن خلدون ٣/٣٢٧ ،

عزة الإسلام في قتال الفرنج في عكا سنة ٥٨٥هـ

قصة عكا وما كان من امرها: ما كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا فأحاطوا بها يحاصرونها، فتحصن من فيها من المسلمين وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من دمشق مسرعا فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر فلم يزل يدافعهم عنها ويمانعهم منها حتى جعل طريقا إلى باب القلعة يصل إليه كل من أراده من جندي وسوقي وامرأة وصبي، ثم ادخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ودخل هو بنفسه فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم والميرة تفد إليهم في البحر في كل وقت وكل ما لهم في ازدياد، وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه وتقدم عليه من كل جهة ومكان منهم رجال وفرسان، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى مواكبها في نحو من الفي فارس وثلاثين الف راجل فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان فاقتتلوا بمرج عكا قتالاً عظيماً وهُزم جماعة من المسلمين في أول النهار، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى خوفا من الوخم والأذى وليستريح الخيالة والخيل ولم يعلم ان ذلك كان من اكبر مصالح العدو المخذول فإنهم اغتنموا هذه الفرصة فحفروا حول مخيمهم خندقا من البحر محدقا بجيشهم واتخذوا من ترابه سورا شاهقا وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتادوا، وتفارط الأمر على المسلمين وقوى الخطب وصار الداء عضالاً وازداد الحال وبالا اختبارا من الله وامتحانا وكان رأي السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعا ولا يتركوا حتى يطيب البحر فتاتيهم الأمداد من كل صوب فتعذر عليه الأمر بإملال الجيش والضجر، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر، ولم يدر ما قد حتم في القدر، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر وكتب إلى الخليفة بالبث، وبث الكتب بالتحضيض والحث السريع فجاءته الأمداد جماعات وآحادا، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل الأسطول فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ، وقدم العادل في عسكر المصريين فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة وخافوا منه واتصل بالبلد الميرة والعدد والعدد وانشرحت الصدور بذلك وانسلخت هذه السنة والحال ما حال، بل هو على ما هو عليه، ولا ملجأ من الله إلا إليه. البداية والنهاية ، ١٢/٣٣٣

عزم التتار على دخول بلاد المسلمين في الشام سنة ٧٠٢هـ

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جداً، وقنت الخطيب في الصلوات، وقرئ البخاري وشرع الناس في الجفل الى الديار والكرك والحصون المنيعة وتاخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف، وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخذولين، وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة عرض وذلك انه التقى جماعة من أمراء الإسلام وكل منهم سيف من سيوف الدين في الف وخمسمائة فارس، وكان التتار في سبعة آلاف فاقتتلوا وصبر المسلمون صبرًا جيدًا فنصرهم الله، وخذل التتر فقتلوا منهم خلقًا وأسروا آخرين وولوا عند ذلك مدبرين، وغنم المسلمون منهم غنائم وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ووقعت البطاقة بذلك، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان وكان يوم خميس النصارى. البداية والنهاية، ١٤/٢٢

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

لا تغفل عن ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥- ٢٠٦].

من فضائل الصحابة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ندب الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير». [صحيح مسلم].

من هدي رسول الله

«بسم الله تمنع دخول الشيطان البيت»

عن جابر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء». [صحيح مسلم].

من دلائل نبوته ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. [صحيح البخاري].

من درر التفاسير

قال الإمام البغوي في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٦٤)، ويد الله صفة من صفاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥)، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف قلت: أي (بدون تكييف أو تعطيل أو تمثيل أو تشبيه). [تفسير البغوي].

الفُرقة.. شر!

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به. وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. [الشريعة للآجري].

إعداد/ علاء خضر

حكم ومواعظ

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وقال مسروق: المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر الله.

[سنن الدارمي].

من أمثال العرب

«من يزرع الشوك لا يحصد به العنب».

أي : لا يحصد العنب من يزرع الشوك، والمعنى من أساء إلي إنسان فليتوقع مثله.

بدعة تخصيص رجب بصيام أو صلاة

عن المؤتمن بن أحمد الساجي الحافظ قال: كان الأمام عبدالله الأنصاري، شيخ خرسان لا يصوم رجبًا وينهي عنه، ويقول: ما صح في فضل رجب ولا صيامه شيء عن رسول الله ﷺ قال: وقد روي كراهية صيامه عن جماعة من الصحابة، منهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان عمر رضي الله عنه يضرب بالدرة صوامه فإن قيل: هو استعمال خير. قيل: له استعمال الخير، ينبغي أن يكون مشروعا عن الرسول ﷺ فإذا علمنا انه كذب علي رسول الله ﷺ خرج عن المشروعية، وإنما كانت تعظمه (اي شهر رجب) مضر (قبيلة من قبائل العرب) في الجاهلية.

[الأمر بالاتباع للسيوطي].

من نصائح الحكام

عن المنصور قال لابنه المهدي: يا أبا عبد الله، الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

[تاريخ الخلفاء].

اتباع السنة من فعل الأئمة !

عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا ؟ فقال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم أخذ به فانا اشهدكم أن عقلي قد ذهب ومد يديه وكان الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقول بسنة رسول الله ودعوا ما قلت.

[صفة الصفوة].

صحح لغتك

نفِدَ الشيءُ: انتهى، ومضارعه ينفَد: تقول نفِدت نسخُ الكتاب. أما نفَذَ، فمعناها: اخترق ومضي وتحقق: تقول نفَذَ السهم، والحكم نفَذَ.

اتبعوا
ولا تبتدعوا

الدعوة إلى الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلما كانت العبادة لا يمكن أن تستقل بتفاصيلها العقول، ولا يمكن أن تعرف بها الأحكام من المأمور والمحظور، أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان الغاية التي من أجلها خلق الخلق حتى يعبدوا الله على بصيرة، فالرسل هم دعاة الحق وأئمة الهدى وهداة الثقلين إلى طاعة الله عز وجل وعبادته، والله عز وجل أكرم العباد بهم ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي والصراط المستقيم حتى يكونوا على بينة من أمرهم، وحتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقطع الله المعذرة، وأقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وعلى نفس النهج سار الدعاة إلى الله الذين هم ورثة الأنبياء، فانتشر الإسلام على أيديهم، وعمت الأرض بركة الوحي بعد أن أجدبت بالشرك والمعاصي زمنًا طويلاً.

والدعوة إلى الله لكي تؤتي ثمارها، فلا بد أن ترتكز على أسس وتقوم على دعائم، فعلى كل داعية أراد حسن التأسي والاقتداء بمنهج الأنبياء أن ينظر بعين الاعتبار إلى الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها والتي تعود عليه وعلى الدعوة بالنتائج المباركة.

الأخلاق وأهميتها

للأخلاق أهمية بالغة في حياة الإنسان لما لها من تأثير كبير في سلوكه وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، فإن كل صفة تستقر في القلب يظهر آثارها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، فأفعال الإنسان إذن موصولة دائمًا بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب، ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع، والله تعالى يقول: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الحميدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس، وبيَّن أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويُسر وعُسر وطمأنينة وقلق وعز وذل، كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

معنى الخلق

والخلق يطلق في الشريعة على معنيين:

١- معنى عام وهو الدين، فالدين كله خلق، قال جل وعلا في وصف نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام»، فجعل الدين كله خلقًا. فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين، وثبت في صحيح مسلم أن عائشة

اتبعوا
ولا تبتدعوا

وأخلاق الدعاة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

رضي الله عنها قالت في وصف النبي عليه الصلاة والسلام: «كان خلقه القرآن».

يعني أنه كان يمتثل القرآن في عبادته، وفي توحيده، وفي خلقه، وفي تعامله مع نفسه، وفي تعامله مع من حوله.

فهذا الإطلاق العام بمعنى الخلق في الشريعة، لأن الخلق يشمل كل أحكام الشريعة من العقيدة ومن امتثال الأمور العبادية والمعاملات والآداب، إلى غير ذلك.

ولا يكون الإنسان صاحب خلق حسن إلا إذا حكم القرآن والسنة على نفسه، وأمر السنة في نفسه قولاً وعملاً.

قال أبو عثمان: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة. قال تعالى: «وَإِنْ تُطِيعُوه تَهْتَدُوا»

[حلية الأولياء (/١ ٢٤٤)].

وتأمير السنة على النفس ليس بالأمور الظاهرة في الملبس وفي الشكل العام فقط ! بل يشمل كل ما فيه صلة بالآخرين، فصاحب الخلق الحسن هو الذي يتمثل القرآن ما استطاع في أقواله على نفسه وفي أنواع تعامله مع الأفراد ومع المجتمع.

٢- الإطلاق الثاني: أن صاحب الخلق الحسن هو الذي أعطي ملكة تحلى بها لما يمدح من تعامله مع الناس فيما يأتي وفيما يذر، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». فالخلق الحسن هذا إطلاق خاص في التعامل مع الناس في أن يكون رحيمًا بهم رءوفًا بهم يأتي إليهم ما يحب أن يأتوا إليه.

إذا تبين ذلك فبحث أخلاق الداعي إلى الله جل وعلا وما يتحلى به الموحد المؤمن صاحب السنة من الأخلاق، يشمل امتثال السنة عقديًا، فيؤمن بأصول الإيمان الستة، كما يشمل امتثال السنة في المنهج الدعوي، فلا يدعو إلى خلاف منهج السلف، ويشمل كذلك التخلق بالأخلاق الحميدة مع الناس.

الإخلاص والمتابعة وحاجة الداعية إلى التخلق بهما

والدعوة إلى الله جل وعلا عبادة لأن الله جل وعلا أمر بها وأثاب الداعي إلى الله عليها وعظم شأنه، فأمر سبحانه بالدعوة في قوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥]، وبين عظم شأن الداعي بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّه وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ومن المقرر في الأصول: أن الشيء إذا أمر به فهو عبادة، وإذا بين الثواب على إتيانه فهو عبادة، وإذا كانت الدعوة عبادة فلا بد من توفر شرطين لقبولها.

الأول: الإخلاص.
الثاني: متابعة السنة.

فمن لم يأت في دعوته بالإخلاص والسنة، لم يأت بالعبادة على وجهها الصحيح ؛ بل هي عبادة غير مقبولة؛ ولهذا فدعوة الخوارج، دعوة مردودة، وكذلك بقية الدعوات المنحرفة عن منهج أهل السنة كالشيعة والمعتزلة وغيرهم، لأنهم لم يتابعوا السنة فصاروا مأزورين غير مأجورين، بل سمى النبي ﷺ «الخوارج كلاب النار» (صحيح الجامع ٣٣٤٧)، وقال في وصفهم: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم لمن قتلهم أجرا عند الله جل وعلا». مع أنهم يدعون ويجاهدون، ويخلصون ؛ يعني يرون أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله، لكنهم لم يتبعوا السنة، فكانوا على خلاف طريقة السلف، طريقة الصحابة، رضوان الله عليهم، فصار عملهم مردودا عليهم.

أولا: الإخلاص:

والمقصود بالإخلاص ؛ هو أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله تعالى وحده دون سواه، فلا يقصد بعبادته ملكًا، ولا ملكا، ولا يعبد شجرا، ولا حجرا، ولا شمسا، ولا قمرا، وهو الدين الذي بعث

الله به رسله جميعًا، فكان محور دعوتهم ولبها، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقد عرَّف العلماء الإخلاص بأنه إفراد الحق سبحانه وتعالى في القصد ؛ وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس، ومحبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى»، والصدق في الإخلاص من أشق الأمور على النفوس، وهذه المشقة يعاني منها العلماء والدعاة والصالحون فضلاً عن غيرهم.

يقول سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا على أشد من نيتي إنها تتقلب عليَّ». ولذلك كان عامة دعاء النبي ﷺ «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وكان يُكثر في قسمه أن يقول: «لا ومقلب القلوب».

الله تعالى هو المستحق بأن يقصد ويعبد

الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه ؛ لأنه يتصف بصفات الجلال والكمال، فهو الكامل في ذاته وصفاته، وهو المُنعم المتفضل بيده النفع والضر، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والنصر والخذلان، والعز والإذلال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فهو وحده المطلوب المقصود ؛ لأنه الخالق الهادي المطعم الساقي، الذي يشفي من العلل، والذي يغفر الذنوب والخطايا، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢].

فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، له الحمد في الأولى والآخرة، لا رب غيره، ولا معبود سواه ؛ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: ٤٢-٥١].

فمن كانت هذه صفاته، وتلك أفعاله ؛ فإنه الذي يستحق العبادة، دون سواه، وهو الذي ينبغي أن يكون المقصدَ والمعاذَ والملاذ.

والتوجه إلى الله وقصده بالعبادة حقه الخالص الذي لا يشركه فيه أحد، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله ؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا». متفق عليه.

فهو الذي يستحق العبادة خوفًا ورجاءً ورغبة ورهبة وتوكلاً واعتصامًا وصلاة وصيامًا، وزكاة وحجًا ونذرًا ودعاء.

ضابط الإخلاص في الدعوة

لكل مسألة ضابط للإخلاص خاص بها يميزها عن غيرها، فمثلاً ضابط الإخلاص في طلب العلم أن ينوي الإنسان رفع الجهل عن نفسه، مع النية العامة في الإخلاص، وهو أن يقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى.

كذلك في الدعوة إلى الله، فمع نية الداعية التقرب إلى الله جل وعلا وحده دون سواه، هناك ضابط للإخلاص في الدعوة ؛ أن ينوي دلالة الخلق إلى ربهم جل وعلا، وألا يكون مترفعا عنهم، كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. قال إمام الدعوة في مسائل التوحيد في قوله: «إلى الله»: تنبيه على الإخلاص ؛ لأن هناك من يدعو إلى الله وهو يدعو إلى نفسه أو إلى طريقته أو إلى شيخه، فلا بد للداعي إلى الله أن يقصد بدعوته أن يقرب الخلق إلى ربهم، وأن يعبدهم لله رب العالمين، وأن يدلهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، أما إذا دلهم ليترفع عليهم أو يريد الشهرة والظهور، أو دعا ليكون منتسبا إلى فلان، فهذا خلاف الإخلاص، وما أكثر من يقع في هذا وهو لا يشعر. وإذا طرأ على النفس ذلك فواجب أن ينطرح العبد بين يدي ربه يسأله أن يكون مخلصًا في أقواله وأعماله.

ثانيا متابعة السنة

أ- امتثال الهدي النبوي

على الداعيه أن يمتثل هدى النبى ﷺ فى جميع أموره بالإضافة إلى طاعة أمره والابتعاد عما نهى

عنه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. فهو خير قدوة للداعي إلى الله، يقتدي به في سيرته وفي دعوته إلى الله خطوة خطوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وانفع شيء للداعي أن يتفقه في سنة رسول الله ﷺ وسيرته في الدعوة إلى الله منذ أن بعثه الله إلى أن اختاره إلى جواره الكريم، ووجه هذا النفع للداعي أن سيرة رسول الله ﷺ هي ترجمة عملية للمنهج الرباني للدعوة إليه الذي جاءت به آيات الله في قرآنه وما من حالة قط يمر بها الداعي إلى الله إلا يُجد مثيلها أو شبيهًا لها أو قريبًا منها في سيرة النبي ﷺ، وكيف تصرف إزاءها سيد الدعاة إلى الله. إن التفقه في السيرة النبوية إذا انضم إليه التفقه في القرآن لا سيما فيما يخص الدعوة إلى الله، يجعل الداعي على نور من ربه وفرقان مبين يبين له الصواب في الأمور المشتبهة والدقيقة.

ب- الحذر من مناهج أهل البدع

وعلى الداعية أن يكون في دعوته على طريقة السلف، وأن يحذر مناهج الفرق الضالة والمنحرفة التي فارقت منهج أهل السنة.

وقد حذر النبي ﷺ من الدعاة الذين أعرضوا عن المنهج القويم، ودعوا الناس إلى خلاف السنة، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكُنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر وجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». متفق عليه.

إن هذا الدخن الذي حذر منه الرسول ﷺ هو انحراف يعتري المنهج النبوي الحق الذي كان يسود مرحلة الخير الخالص، فيؤدي إلى تشويه المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، ألم يقل ﷺ في تفسير الدخن كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه عندما سأله ﷺ: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر».

هذا هو أصل الداء وجذر البلاء؛ إنه انحراف عن السنة في المنهج، وانصراف عن السمت النبوي في السلوك والعمل.

وبهذا يتضح أن الدخن الذي شاب الخير فكدر معينه وغير رواءه هو البدع التي أطلت برؤوسها في أوكار المعتزلة، والصوفية، والجهمية، والخوارج، والأشعرية، والمرجئة، والروافض، منذ قرون ابتغاء الفتنة، فامعنت في الإسلام تحريفًا، وانتحالاً وتأويلاً، فلم يبق من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، ومن التعبد إلا جسمه.

ومما يؤسف له أن هذا الدخن قد ترك ينمو في حقول الخير حتى سيطر عليها وعرقل المسيرة، فكانت مرحلة الشر الخالص وبداية دعاة الضلالة وفرق الغواية «دعاة على أبواب جهنم»، والذين يعملون بجد ونشاط حتى كبر ضلالهم وسيطر انحرافهم فصار للكفر دولة، وللضلال صولة، وتحكم الرويبضة في مقاليد الأمور، لذلك فالأمة بحاجة ماسة إلى عودة شاملة إلى دينها، على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وعلى الدعاة إلى الله أن يدركوا هذه الحقيقة ويحصنوا أنفسهم بهذا المنهج الرباني؛ منهج أهل السنة والجماعة الذي فيه النجاة والعصمة.

وقد أخبر النبي ﷺ بأن هذه الفئة المباركة من أهل السنة لا تزال ظاهرة منتصرة لا يضرها من ناصبها العداء أو خذلها من الأدعياء حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، فأشاع بذلك في النفوس الأمل، وبدد فيها دياجير الظلام واليأس والقنوط، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». (صحيح الجامع: ٧٢٩٠).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنهج الإسلامي

الحلقة السابعة عشرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

■■ بين يدي حديث الإفك ■■

١- ما العلاقة بين المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة، وحديث الإفك؟

حديث الإفك تجربة واقعية وتطبيق عملي للمنهج الذي وضعه المشرع، وهو القائم في غالبه على قاعدة سد الذرائع، التي لو أخذ بها لأغلق الكثير من أبواب المعاصي، ولأن الإسلام دين يزاوج بين المثالية والواقعية، فقد وضع المثاليات التي تصل بالبشر إلى قمم الطهر والعفة والنقاء، لو تمسكوا بها وعاشوها واقعا حياتيا، وفي نفس الوقت بيّن لنا ماذا نفعل إن جذبتنا حمأة الطين فركنّا إلى الشيطان والهوى فتنكبنا الصراط المستقيم.

٢- كل ابن آدم خطاء... ولا عصمة إلاّ للأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- فعلى من وقع في الخطأ أن يسارع بالفيئة، وأن يتوب سريعًا وفق الضوابط الشرعية للتوبة.

وفي الحديث: «كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوابون».

٣- إن المنافقين ومن على شاكلتهم يتربصون الدوائر بأهل الخير والصلاح، وهذا ليس بمستغرب منهم، إنما المستغرب أن نسمع لهم ونأخذ عنهم، ولا ندفع عن أنفسنا مقالات السوء.

٤- إن البلاء من قدر الله الملازم للإنسان، سواء بالخير أو بالشر، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وكلما زاد صلاح العبد ؛ زيد له في الابتلاء، حتى يُمحَّص ويُصفَّى، رفعة في الدرجات، وحطا من السيئات.

٥- إن مثالية المجتمع في المدينة، ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، لم يمنع من وقوع بعض الأخطاء- وإن ندرت- فهم بشر، وإن تسنموا ذري الطاعة في كل دقيق وجليل من حياتهم.

٦- أن العقوبات في المنهج الإسلامي لا تكون ابتداءً، بل إن الله تعالى يبين الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفاحشة، فالإسلام منهج حياة متكامل، لا يقوم على العقوبة أولا، إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة السوية، ثم يعاقب بعد ذلك من ترك الأخذ بهذا المنهج.

٧- الناس لا يؤخذون بالظن أو بكلام بعضهم في بعض، بل لا بد من اليقين، كما بيّن الله تعالى: شهادة أربعة رجال عدول، أو اعتراف من وقع في الفاحشة.

٨- بيّن الله تعالى حدّ القذف، ومدى إفساد هذا القذف لمجتمع المسلمين، ثم أورد نموذجا لهذا القذف يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته، إذ يتناول بيت النبوة المطهرة، وعرض رسول الله ﷺ أفضل خلق الله، وعرض الأبرار الأطهار: عائشة، وأبي بكر، وصفوان.

٩- القذف من أشد أنواع الذنوب تأثيرًا في المجتمع والأفراد، فلو أطلقت الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، فهي عندئذ لا تقف عند حدّ وإنما تمضي قدمًا، فيهتز المجتمع وتضيع الفضيلة وتنهار القيم.

فالقذف أثره متعد أكثر من الزنا، فمن وقع في الزنا، وقع في كبيرة من الكبائر وفاحشة عظيمة، لكن من الممكن ألا يعلم المجتمع عنه شيئًا، أما القذف فهو نار مؤججة لو اشتعلت في مجتمع لأحرقته وأفسدته، فالكلام عن الفحشاء والمنكر يقلل من استهجانهما ويساعد على انتشارهما، عملاً بمقولة: «إذا كثر الإمساس قل الإحساس».

فالكلام عن المنكر أوجع في المجتمع من ارتكاب المنكر نفسه.

١٠- قيمة الكلمة في الإسلام وعلو شأنها، وكيف ترفع أقواما وتحط آخرين.

فنحن مسئولون عن كل كلمة ننطقها، وكل لفظ مسجل علينا، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

١١- أن ما نكره قد يأتينا بالخير العميم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

إعداد/ متولي البراجيلي

ففي حديث الإفك خير كثير، كما قال تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، فمن الخير: تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتنويه بذكرها.

- تناول عموم المدح سائر أمهات المؤمنين.

- بيان الحكم في القذف، مما يحتاجه العباد في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

- تقرير وحدة المؤمنين، فهم جسد واحد، والقدح في واحد منهم كقدحهم في أنفسهم جميعًا.

المجتمع في المدينة

أولا: المنافقون

في بداية هجرته ﷺ إلى المدينة، لم يكن وجود المسلمين قد قوي في المدينة بعد، وفي ذات الوقت فإن الصراع مع قريش لم ينته، حيث بدا منهم أنهم سوف يلاحقون المسلمين في المدينة، ويذكر محمد حميد الله في «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»: أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبيَ بن سلول، ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، قبل وقعة بدر: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنسيرنَ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم». (دراسة في السيرة د. عماد الدين خليل).

فعرب المدينة الوثنيون وجدوا أنفسهم في مأمن من حالة إعلان رفضهم للإسلام، لكن بعد غزوة بدر تغير الحال تمامًا، ووجد هؤلاء الوثنيون أنفسهم في وضع حرج، إما أن يظلوا على كفرهم فيتعرضون للعقاب، وإما أن ينتموا إلى الإسلام ظاهرًا، ويظل الكفر كما هو في قلوبهم، فاختار زعيمهم عبد الله بن أبيَ بن سلول إعلان الإسلام ظاهرًا، وإبطان الكفر، وذلك ليأمنوا جانب المسلمين من ناحية، وليعملوا على تخريب المجتمع المسلم من الداخل بالمكائد والشبهات ودس الدسائس، وهذا العدو الجديد، الذي انضم إلى أعداء المسلمين هو أخطرهم وأشدهم فتكًا على المسلمين، وذلك لتغلغله داخل صفوف المسلمين معلنًا أنه معهم، وفي القلب الحقد المرير.

إن أعداء الإسلام الظاهرين كالكفار واليهود، عداؤهم سافر، يعلنون به ويعيشون له، أما المنافقون الذين يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأمرهم متلون خادع.

والنبي ﷺ أعلن أكثر من مرة أنه لن يقتل هؤلاء، حتى لا يقال إن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه، فربما أدى ذلك إلى تخذيل من يراقب هذا الدين الجديد، الذي يقتل نبيه بعض أتباعه الذين آمنوا بالله ورسوله، ونطقوا بذلك وعملوا بمقتضاه في الظاهر.

لكن ليس معنى ذلك أن الله تبارك وتعالى ترك هؤلاء المنافقين يخترقون جسد المسلمين، بل بين الله تعالى عوارهم ومكائدهم في القرآن ولنبيه ﷺ.

فلو نظرت في سورة البقرة- مثلاً- تجد أن الله تكلم عن الكافرين في آيتين فقط، ثم تكلم عن المنافقين في اثنتي عشرة آية.

ومهما يكن من أمر فإن وجود المنافقين في مجتمع المدينة كان له جانب إيجابي، ألا وهو الحذر الدائم واليقظة لمكائدهم، مما أعطى المسلمين قوة لمواجهة عدو الداخل- وهو الأنكى- وعدو الخارج.

ولكي نرى أن حديث الإفك لم يكن هو الدسيسة الوحيدة للمنافقين، فإنهم كانوا يتلقفون الشوارد من أجل وقف مد زحف هذا الدين الجديد، بكل وسيلة متاحة لهم، وإليك بعض ما كادوه للإسلام والمسلمين:

١- عندما حاصر الرسول ﷺ والمسلمون يهود بني قينقاع حتى نزلوا على حكمه، سارع عبد الله ابن أُبي بن سلول يلحُ على رسول الله ﷺ أن يحسن في مواليه، حتى أنه أدخل يده في درع رسول الله ﷺ: ويقول إني لرجل أخشى الدوائر، فتركهم له رسول الله ﷺ على أن يخرجوا من المدينة. (رواه ابن هشام عن ابن إسحاق بسند مرسل).

٢- في حصار بني النضير، أرسل المنافقون إلى اليهود أن اثبتوا ونحن معكم وننصركم على محمد ﷺ وصحبه، فقوى ذلك اليهود بعدما كانوا ارتضوا التسليم والنزول على أمر رسول الله ﷺ وأرسلوا للنبي ﷺ يقولون له: لن نخرج، فافعل ما بدالك، ثم احتموا بحصونهم واستعدوا للقتال، وزاد إصرارهم

على المقاومة ما ترامى إليهم من أن ابن أبيَ أعد الفي مقاتل لنصرتهم، وفي هؤلاء أنزل الله سورة الحشر. (البخاري ومسلم).

التي ذُكر فيها موقف المنافقين مع اليهود: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

٣- في غزوة أحد، كان النبي ﷺ يرى ألا يخرجوا لقريش خارج المدينة، وإنما يستدرجونهم إلى المدينة وأزقتها فيقاتلهم الرجال في الطرق والنساء من فوق أسطح البيوت.

وكان ابن سلول يؤيد هذا الراي، وهو يرمي إلى شق صف المسلمين، لأن كثيرًا من الصحابة بل الغالب منهم كانوا يرون الخروج لقتالهم خارج المدينة، ويرمي إلى شيء آخر وهو أن قتال المسلمين داخل المدينة سيمكن المنافقين من الاختباء والتسلل من ساحات القتال دون أن تلحظهم العيون.

وأخذ النبي ﷺ برأي أصحابه وخرج للكافرين في أحد، وخرج معه ابن سلول الذي ما لبث أن عاد ومعه ثلث الجيش لما اقتربت المعركة- ليخذل المسلمين- متعللاً بأن النبي ﷺ ترك رأيه وأخذ برأي أصحابه.

٤- وفي تبوك كان المنافقون ينظرون إلى هذه المعركة مع الروم على أنها ستقضي على المسلمين وأخذوا يقولون للمسلمين: أتحسبون جلاد بني الأصفر (الروم) كقتال العرب بعضهم بعضًا، والله لكأنا بكم غدًا مُقرنين في الحبال.

وخرج ابن سلول على رأس جماعته، وما أن اجتاز المسلمون مسافة قصيرة صوب هدفهم حتى تخلف المنافقون وقفلوا عائدين إلى المدينة، وأسقط في أيديهم فلم يجدوا هذه المرة أعذارًا يسوقونها بين أيديهم، وهكذا النفاق يلتمس أوهي الأعذار ليتخلف عن الركب، وإن لم يجد أعذارًا همهم بغباوة القلب وتنكب الطريق السوي.

٥- وفي غزوة الخندق، التي اشتد الأمر فيها على المسلمين، كما وصف القرآن: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

وقف المنافقون خلف المسلمين وهم يحفرون الخندق يثبطون الهمم ويثيرون شائعات الخوف والهزيمة، وكانوا يظهرون للمسلمين، أنهم يحفرون معهم ثم يتسللون لواذًا في جنح الليل.

وعندما حاصرت الأحزاب المدينة، وغدر يهود بني قريظة، واشتد البلاء على المسلمين، تعاظمت حملات المنافقين، وأسفر بعضهم عن مكنون قلبه صراحة، ظانًا أن نهاية المسلمين ستكون في هذه الغزوة، ولقد أنزل الله تعالى آيات واضحات في سورة الأحزاب تكشف مكنون هؤلاء، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

وتمْضي الآيات بوصف حالهم ومآلهم، وأن هؤلاء حبط عملهم: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٨، ١٩].

فشل محاولات المنافقين

باءت كل محاولات المنافقين بالفشل الذريع، وخابت آمالهم في شق صف المسلمين، ورأوا المسلمين يخرجون من كل حروبهم مع الكفار واليهود وهم منتصرون، ومن نصر إلى نصر تقوى دولة المسلمين وتصير لها الهيمنة على غالب أنحاء جزيرة العرب.

فهل يستسلم هؤلاء المرضى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ لمد الإسلام الجارف، فيراجعون أنفسهم ويرفعون الغشاوة التي على عيونهم؟ هيهات أن يفعلوا!!

كل ما فعلوه إزاء فشلهم المتكرر في تخذيل المسلمين في حروبهم، هو تغيير مكرهم وإرجافهم، فلجئوا إلى أسلوب خسيس وهو التخريب من داخل المسلمين ونشر الشائعات بينهم، معتمدين في ذلك على تسربهم في صفوف المسلمين واحتكاكهم المباشر بهم.

كيد المنافقين في غزوة بني المصطلق

انتهز المنافقون وعلى رأسهم ابن سلول قتال غلامين على بئر ماء، أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار، والقصة يرويها جابر بن عبد الله كما في «صحيح البخاري»: كنا في غزاة فكسع رجل من

المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الانصاري: يالالأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمّعها اللّهُ رسوله ﷺ، قال: ما هذا ؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة». قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد.

فقال عبد الله بن أبيَ: أوَ قد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

حاول ابن سلول والمنافقون أن يشعلوا نار العصبية القبلية مرة ثانية، لكن الله كان لهم بالمرصاد، ووأد النبي ﷺ الفتنة في مهدها بسبيلين، السبيل الأول بالمسارعة إلى مصدر الفتنة ونهيهم عن هذه العصبية القبلية النتنة، والسبيل الثاني أنه ما ترك القوم يتكلمون ويشققون الكلام حول هذا الأمر، فأمر ﷺ بالرحيل الفوري للجيش، وذلك في ساعة لم يكن الرسول ﷺ يرتحل فيها، فانطلق بهم يومهم هذا حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم التالي، حتى آذنتهم الشمس بالمغيب، فعسكر بهم، وما أن وجدوا مسَّ الأرض حتى وقعوا نياماً، وأنساهم التعب والمسير هذه الفتنة التي كاد أن يشعلها المنافقون.

لكنَ ابن سلول لم يهدأ والحقد والحسد والبغضاء يملأ قلبه الأسود، يتحين أي فرصة ليطفئ أوار نفسه الخبيثة، فكان حديث الإفك.

ثانيا: اليهود

اليهود عداؤهم سافرٌ للنبي ﷺ وللمسلمين، مع علمهم اليقيني أن النبي ﷺ هو النبي الخاتم، وأنه مرسل من قبل ربه سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، ويعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، بحيث لا يشتبهون بغيره، فمعرفتهم بمحمد ﷺ وصلت إلى حدٍ لا يشكون فيه ولا يمترون، ولكن فريقًا منهم- وهم أكثرهم- الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها وهم يعلمون. (تفسير السعدي).

ولقد كان اليهود يتوعدون الأوس والخزرج بالنبي القادم الذي سيتبعونه ويقتلونهم قتل عاد وإرم، كما بحديث سلمة بن سلامة (وهو من أصحاب بدر)، أن جارًا لهم من اليهود من بني عبد الأشهل خرج عليهم يومًا وأخبرهم أن نبياً اقترب زمانه، فسألوه: من يراه ؟ فأشار إلى سلمة، وكان أصغرهم، فقال: إن يستكمل هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ... (الحديث بتمامه في السيرة لابن هشام، وفي مسند أحمد، وعند الحاكم، وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق (مدلس)، وقد صرح بالسماع).

لكن اليهود- لعنهم الله- لما علموا أن النبي ﷺ من العرب من نسل إسماعيل عليه السلام وليس منهم ناصبوه العداء وسحبوا كلامهم وبشاراتهم حول مجيء نبي آخر الزمان، خوفًا على مصالحهم لأن نجاح الإسلام كفيل بحصر اليهود وعزلتهم وكشفهم أمام العالم، ومن ثمَّ ضرب وجودهم ومصالحهم في الصميم، الأمر الذي دفعهم إلى أن يقفوا إلى جانب الوثنية ويمتدحوا أصنامها بمواجهة التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ.

وضَمَّ اليهود المنافقين إليهم، وحاولوا معًا الترصد والتربص بالإسلام والمسلمين، يقول الله تعالى في سورة البقرة وهي من أول السور المدنية في ترتيب النزول، بصدد الحديث عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]، قال: إن شياطينهم هم اليهود وهم كبراؤهم ورؤساؤهم بالشر.

وإن التشبيب بالنساء والكلام عن الأعراض صبغة يهودية، فها هو كعب بن الأشرف اليهودي يشبب بامرأة مسلمة تُدعى أم الفضل بنت الحارث:

إحدى بني عامر جنَّ الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعبًا من السقم
لم أر شمسًا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنا في ليلة الظلم

وتحول كعب من أم الفضل إلى نساء مسلمات أخريات مشببًا بهن حتى آذاهن.

فهذا التشبيب بالنساء والوقوع في أعراضهن، هو ذات البضاعة التي حاول ابن سلول وفريق المنافقين ترويجها عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك.

وللحديث بقية إن شاء الله.

القصة في كتاب الله

أيوب

«عليه السلام»

المحـور الثـانـي

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي جعل من سننه ابتلاء عباده بالبأساء والسراء، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فعليه السخط، والصلاة والسلام على إمام رسل الله وخاتم الأنبياء خير من صبر عند الضراء، وشكر عند الرخاء.

أما بعد:

فهذا لقاؤنا الثالث مع قصة أيوب عليه السلام، وقد قدمنا في اللقاءين السابقين عرضًا للقصة في القرآن الكريم، وما صح من حديث رسول الله ﷺ، وهذا ما أسميناه المحور الأول، واليوم بعون الله نقف مع تساؤلات كثرت وكثر فيها الخوض، ووقفتنا اليوم للبيان والإيضاح ورد شبهات ومفتريات.

الوقفة الأولى: وهي حول قول أيوب- عليه السلام- في دعائه: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾، وهذا من أكثر المواضع التي كثر فيها الخوض بالباطل وبالحق، ونستطيع أن نقسم ما قيل فيها أو حولها إلى قسمين: مقبول، ومردود، مقبول يوافق العقل والنقل، ومردود غير ذلك.

أولاً: القسم الأول:

القسم المقبول حول معنى الآية من أقوال المفسرين والذي يوافق العقل والنقل وهو كالتالي:

١- قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (أي ما يلحقه من وسوسته لا غير)، وكأني به- رحمه الله- يرد ردًا مجملاً على من شطح وجانب الصواب، وسنعود إلى رده مفصلاً بعد قليل.

٢- وقال آخرون من أهل التحقيق:

«قد يكون المقصود جرأة الشيطان عليه بالوسوسة، وليس المقصود أن الشيطان أصابه»(١). اهـ.

٣- وقال صاحب التحرير والتنوير: «في الآية كناية لطيفة عن طلب لطف الله به ورفع العطب عنه والنصب ؛ لأنهما صارا مدخلاً للشيطان إلى نفسه بالوسوسة». اهـ.

٤- وطرح صاحب فتح البيان صديق حسن خان- رحمه الله- تساؤلاً وجيهًا قال: «لماذا لا يكون مس الشيطان متصلاً بعمل أيوب كنبيٍّ إلى قومه حيث كان يوسوس لهم فيكابرون وينقُضون ما عقدوه مع أيوب- عليه السلام- فيشق ذلك عليه ويشفق عليهم». اهـ.

ونحن نقول: ولماذا لا ؟ فهذا القول وجيه وأميل إليه وله ما يؤيده من السنة الصحيحة ؛ ففي الحديث الذي نقلناه في اللقاء السابق حين

قال الرجل لصاحبه: «إن لم يكن أيوب قد أذنب ذنبًا كبيرًا ما ظل في هذا البلاء هذه المدة». وقد صرح الآخر لأيوب بذلك، وكانا من أوفى الناس بأيوب، فما بالك بغيرهم، والله أعلم.

ثانيًا: القسم الثاني: حول معنى الآية، وهو القسم الذي لا يقبله عقل سليم ولم يصح نقلاً، ومع ذلك امتلأت به كتب المؤرخين والمفسرين، وقد ردّه أهل التحقيق منهم، وإليك ذلك:

- وهذه الأقوال تنقسم أيضًا إلى قسمين ؛ قسم يتعلق بما قيل حول قول أيوب: ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ﴾، وقسم آخر يتعلق بدرجة مرضه.

- أما ما يتعلق بتفسير الآية وتأثير الشيطان على أيوب- عليه السلام- فقد نقلت روايات أكثرها لا يصح ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر، نقلوا خبرًا طويلاً منسوبًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ومفاده أن إبليس كان له يوم في العام يرقى فيه إلى السماء السابعة ويحاور ربه فطلب منه أي الشيطان طلبًا من رب العزة أن يسلطه على أيوب فسلطه.

وينبري الإمام المحقق ابن العربي- رحمه الله- إلى هذا الخبر فيفنده ويرد عليه، وقد نقل الإمام القرطبي- رحمه الله- ذلك في تفسيره، وأنقل إليك في هذه العجالة بعض هذا الرد بما يحقق المقصود:

قال ابن العربي- رحمه الله-: «ما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكانٌ في السماء السابعة يومًا من العام فنقول: باطل ؛ لأنه أهبط منها بلعنه وسُخط إلى الأرض فكيف يرقى إلى محل الرضا ويجول في مقامات الأنبياء ويخترق السماوات العلا، ويعلو إلى السماء السابعة فيقف موقف الخليل- عليه السلام- ثم يحاور رب العالمين؟». اهـ.

٢- وهناك من المفسرين من قال: «مسّه الشيطان بالسحر حتى أصابه في بدنه بأمراض شديدة». وقد رد ذلك القاضي عياض فيما نقله عنه أيضًا الإمام القرطبي- رحمه الله- قال: «وليس الأمر كما زعموا من السحر الذي أصاب الشيطان به أيوب عليه السلام، فالأفعال كلها خيرها وشرها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في ملكه، ولكن الشر لا ينسب إلى الله ذكرًا، وإن كان موجودًا منه خلقًا». اهـ. مختصرًا.

ونحن نقول: نعم قد أدبنا نبينا محمد ﷺ بأدب التخاطب مع الله تعالى في دعائه، ومن ذلك ما أورده مسلم في صحيحه من حديث طويل جاء فيه: «..لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك». وهذا تنزيه لله- سبحانه وتعالى-، فالشر لا ينسب إليه لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله ؛ وإنما يدخل في مخلوقاته ومفعولاته.

٣- وأما ما يتعلق بحرص أيوب عليه السلام وما وصل إليه من تغير رائحته، حتى نفر الناس منه، وعن تساقط لحمه، حتى صار هيكلاً عظميًا بغير لحم، أو أن الدود كان يسرح في بدنه ويروح، وأنه أُلقي في المزبلة، وغير ذلك، فقد ردّها المحققون، ومنهم القاسمي، رحمه الله، فقال: «يذكر كثير من المفسرين ههنا مرويات وقصصًا إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام، ولا نؤمن من ذلك كله إلا بمجمله وهو ما أشار إليه التنزيل الكريم لأنه الحق المتيقن، وهو أنه عليه السلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وأهله وماله، فصبر على ذلك صبرًا صار مضرب الأمثال». اهـ. مختصرًا.

هذا، وقد أشار الشيخ المراغي- رحمه الله- في تفسيره إلى تلك المرويات لمنافاتها لما يجب أن يكون عليه النبي من هيئة لا تنفر الناس منه، وأرجو أن يكون في هذا القدر ما يفي بغرضنا في هذا المحور، وإلى لقاء.

هامش

١- في هذا إشارة إلى الأقوال التي قيلت من إصابة أيوب عليه السلام بمس مباشر من الشيطان أصابه في بدنه، وسيأتي الرد على ذلك قريبًا.

باب التراجم

الشيخ/ محمد البشير الإبراهيمي

اسمه: محمد البشير الإبراهيمي.

مولده: ولد في مدينة سطيف بالجزائر عام ١٣٠٧هـ- ١٨٨٩م، وتلقى تعليمه الأول على يد جماعة من العلماء على نظام منح الإجازة، منهم: الشيخ محمد أبو القاسم البوحليلي، ومحمد أبو جمعة الفلي، كما تلقى التعليم على يد عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، الذي تعهده بالرعاية ما بين عامي ١٨٩٦- ١٩١٢م.

- هاجر إلى المدينة المنورة للالتحاق بأبيه الذي استقر بها منذ عام ١٩٠٨م فرارًا من بطش الفرنسيين.

- وفي بلاد الحجاز التقى ببعض رواد الإصلاح في المغرب مثل حمدان الونيس، وحسين أحمد الهندي، وعبد الحميد بن باديس، وهناك كانت لقاءات للحديث عن مستقبل بلادهم، ومن الأمور اللافتة للنظر أن البشير الإبراهيمي هو الذي أشار على ابن باديس بالعودة إلى الجزائر وعدم البقاء في الحجاز.

وكان للقاءات والأسمار التي حدثت بين الشيخين ابن باديس والإبراهيمي أن نشأت الفكرة الأولى لوضع أسس جمعية علماء المسلمين بالجزائر والتي ظهرت عام ١٩٣١م.

وكان بعد ذلك أن أصبح البشير نائبًا للرئيس عند إنشاء الجمعية، ثم صار عام ١٩٤٠م بعد وفاة ابن باديس رئيسًا لها.

وقد نهضت الجمعية على يديه كثيرًا، فقد كان نموذجًا للداعية الواعي، وهو كما يقول صاحب كتاب «رواد الإصلاح»: هو زعيم في مجال الإصلاح والسلفية والصحافة، وهو مرب أصيل سخر قلمه للدفاع عن قضية تحرير الجزائر وتونس.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

قامت هذه الجمعية في ظروف بالغة الصعوبة، وبعد مرور قرن على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد قامت على أكتاف رجال نصبوا أنفسهم للذود عن الإسلام، ونبذ البدع، ودعوة الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وقد عملت جمعية علماء الجزائر على تعليم المرأة المسلمة، وعن ذلك يقول الإمام ابن باديس: «علينا أن نكمل النساء تكميلاً دينياً»، ويضيف قائلاً: «إذا أردنا أن نُربي رجلاً فعلينا أن نربي أمهات دينيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليمًا دينيًا، وتربيتهن تربية إسلامية، وتركهن بلا تعليم لا ينتج إلا رجالاً لا دين لهم».

ومن هنا عمل ابن باديس والإبراهيمي من خلال جمعية العلماء على:

ظهور مكاتب حرة، وإلقاء دروس وعظ وإرشاد، بتنظيم المحاضرات العلمية من علماء الجمعية.

مؤسسو جمعية العلماء المسلمين

- عبد الحميد بن باديس ١٨٨٩هـ-١٩٤٠م.
- محمد البشير الإبراهيمي ١٨٨٩هـ- ١٩٦٥م.
- الطيب العقبي ١٨٩٠هـ- ١٩٦٠م.

أبرز رجالات الجمعية من غير المؤسسين:

١- محمد الأمين العمودي ١٨٩٠- ١٩٥٧م:

من أعلام الصحوة السلفية

١٣٠٧ - ١٣٨٣ هـ - ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م

إعداد/ فتحي عثمان

رجل الحركة الإصلاحية، اشتغل بالمحاماة الشرعية وهو أول كاتب عام (أمين) للجمعية لإجادته العربية والفرنسية.

٢- الشيخ العربي بن بلقاسم القيسي: ١٨٩٥- ١٩٥٧م: وهو من أبرز علماء الجمعية، درس في الزيتونة، والأزهر، واختير عام ١٩٣٥م كاتبًا عامًا، ثم في ١٩٤٠م بعد وفاة ابن باديس اختير نائبًا للشيخ الإبراهيمي، وقد خطفه الفرنسيون في ١٧ أبريل ١٩٥٧م، ثم اغتالوه.

٣- الشيخ مبارك الميلي ١٨٩٧- ١٩٤٥م: وهو ممن تولى رياسة تحرير جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء.

جهود البشير في عقد أول مؤتمر لجماعة علماء المسلمين الجزائريين

لقد بلغت طرق احتقار الفرنسيين للمثقف المسلم ذروتها، فقام البشير الإبراهيمي وإخوانه بعقد مؤتمر استمر أربعة أيام بالجزائر العاصمة، وفي أيام المؤتمر تجلت شجاعة البشير الإبراهيمي حين سلط الأضواء على دعوة فقهاء الوطن، وأن الدعوة قد وجهت إليهم باسم الأمة لا باسمه، ولا باسم ابن باديس، في حين كان العلماء يخافون من جمعية علماء الجزائر.

فكر البشير الإبراهيمي- رحمه الله- كان زاخرا بالقضايا والطموحات، فكان يكتب في مجلة البصائر عن حقوق الجيل الثاني، وحقوق المعلمين الأحرار، وعن الشباب والزواج والمهور، وقد كان شديد التأثر بواقع المسلمين، فقد كتب عن محنة مصر وعن أثر الأزهر في النهضة المصرية، وعن فلسطين وليبيا والمغرب الأقصى.

رئاسته لجمعية علماء الجزائر

لما توفي ابن باديس وقع الاختيار عليه رئيسًا بعد أن كان نائبًا للرئيس، فنهض نهضة شديدة بالجمعية، يقول عنه المؤرخ الجزائري احمد توفيق: «كان الرئيس وكان المعلم وكان الصحفي وكان الكاتب وكان الخطيب، وكان رحمه الله كل شيء».

في عهد رئاسة البشير للجمعية تم بناء معهد ابن باديس بقسطنطينية، وتم تنظيم الخطب والمحاضرات ضد البدع والخرافات والضلالات.

جهوده في مكافحة الفساد

قام البشير الإبراهيمي رحمه الله بتحرير بيان انتقد فيه نظام الحكم الاشتراكي بالجزائر- في ذلك الوقت- بعدها فرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي في سنة ١٩٦٤م.

رحم الله البشير الإبراهيمي، ورحم الله معاصريه من علماء المغرب العربي والإسلامي، والحقهم بالصالحين.

الأسرة المسلمة

الحلقة الأولى

أعراضنا: كيف نصونها ونحفظها

الحمد لله تعالى الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وولي من الذل وكبره تكبيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلاة وسلامًا إلى يوم كان على الموحدين يسيرًا، وعلى الكافرين عسيرًا، وبعد:

إعداد/ **جمال عبدالرحمن**

رعاية مصالح العباد من مقاصد الشريعة

جاءت الشريعة الغراء برعاية مصالح العباد وصيانتها، ومصالح العباد ثلاثة أقسام:

١- الضروريات: كضرورة الطعام كي يحيا الإنسان، وضرورة التداوي المرأة عند طبيب لعدم وجود غيره في التخصص من النساء، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٢- الحاجات: كحاجة الإنسان إلى الزواج، فالزواج حاجة وليس ضرورة في الغالب الأعم، ولذلك قد لا يستطيعه الإنسان فيأمره الشرع حينئذ بالاستعفاف والصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وقد يعزف بعض الناس عن الزواج ويرغب عنه تفرغًا لمصلحة يراها أهم منه، أو لا تستقيم مع كونه متزوجًا، كطلب العلم وما شابه ذلك، وعليه فلا ترقى الحاجة إلى مرتبة الضرورة.

٣- التكميليات: وهي تشبه تعدد الزوجات بعد الواحدة، أو الترويح عن النفس لتستجم، وتستعيد نشاطها.

فأما الضروريات فخمس:

١- حفظ الدين: وقد حرصت عليه الشريعة غاية الحرص، فأمرت بقتل المرتد والداعي إلى الردة، كما شرعت عقوبة المبتدع الداعي إلى البدعة.

٢- حفظ العقل: ويكون ذلك بما أوجبته الشريعة من إقامة حد السُّكر ومعاقبة المتعاطين للخمور.

٣- حفظ النفس: ودعت إليه الشريعة بإقامة حد القصاص.

٤- حفظ النسل والعرض: وذلك بإقامة حد الزنا وحد القذف.

٥- حفظ المال: وذلك بقطع يد السارق.

وقد شرعت الحدود جميعها لحفظ هذه الضروريات تحقيقًا لقاعدة رعاية الشريعة لمصالح العباد، ومن ظن المصلحة في غير ذلك فهو ضال مبتدع، مفتئت على الشرع صاحب هوى.

ومن أجل ذلك جعل الإسلام كل من قُتل من أجل حفاظه ودفاعه عن هذه الضروريات شهيدًا، ففي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «من قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد». صحيح الجامع.

والدين أهم هذه الضرويات على الإطلاق ؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكذلك قوله ﷺ: «لا تشرك بالله وإن قُتلت وحُرقت». [مسند أحمد: صحيح].

وعلى كل مسلم أن يسخر جميع ضرورياته لحماية الضرورة القصوى وهي الدين.

ولقول النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ويلي الدين في الأهمية العرض، فجميع الضرويات الباقية (النفس، والمال، والعقل)، تُبذل من أجل الحفاظ على العِرض والنسل، والذي أمر بذلك هو الدين أيضًا.

فقد قال سيد الأطهار والأبرار والأخيار ﷺ: «ذُبوا (أي ادفعوا) عن أعراضكم بأموالكم» قالوا: كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا ؟ قال: «يُعطى الشاعر، ومن تخافون لسانه». [السلسلة الصحيحة].

يعني أن كل من أسكت المال لسانه عن الخوض في الأعراض، يُبذل له المال لإسكاته، وصيانة العرض عن بذاءاته.

وقد دعا حسان بن ثابت رضي الله عنه إلى هذا المبدأ وتمسك به فقال:

أصونُ عرضي بمالي لا أدنّسهُ
لا باركَ اللهُ بعدَ العرْضِ في المالِ
أحتالُ للمالِ إنْ أودى فأجمعُهُ
ولستُ للعرضِ إنْ أودى بمُحتالِ

□□ وسائل الشرع في حفظ الأعراض □□

وللإسلام وسائله وآدابه وخططه الناجحة الناجعة لصيانة الأعراض من التلوث والتنجس، وللحيلولة دون الوقوع في الفاحشة، وهذه الآداب متمثلة في:

١- الاستئذان عند الزيارة وغض البصر:

لما كان الوقوع في الفاحشة طريقه النظر، ومبدؤه البصر والاطلاع على العورات، أرشد الله الحكيم عباده إلى الاستئذان إذا أرادوا دخول البيوت حتى لا تقع العين على ما يؤجج الفتنة في القلب، ولا يغيب عن أذهاننا قصة المؤذن الذي أطلق بصره من فوق المنارة في بيت مجاور فوقعت عينه على فتاة نصرانية، فأوقدت تلك النظرة نار الفتنة في قلبه فترك دينه ليوافق دينها ويتزوجها. إذن فهناك ارتباط وثيق بين الاستئذان والبصر.

فعن سهل بن سعد- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» متفق عليه، ويكون الاستئذان ثلاثًا فإن أُذن له وإلا فليرجع، فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع» متفق عليه.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)﴾ [النور: ٢٧- ٢٨]. والاستئناس هو زوال الوحشة بالإذن للزائر.

وفي شأن البصر خاصة أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾. [النور: ٣٠]، وقدم الأمر بغض البصر على حفظ الفرج لأن البصر هو بداية طريق خطيئة الفرج وهو الممهد لها والمتفق عليها.

كلُّ الحوادث مَبْدؤها من النَّظر
ومُعظمُ النَّار من مُستَصغرِ الشَّرر
كمْ نَظرةٍ بلغتْ منْ قلْبِ صاحبِها
كمَبْلغِ السَّهْمِ بينَ القوْسِ والوتَرِ

وقد قال النبي ﷺ: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية» (حسن) صحيح الجامع عن بريدة.

أليس الإسلام في كل هذا يمنع الوصول إلى الفاحشة ويصون الأعراض؟ بلى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مجموع الفتاوى ٢٨/٣٧٠:

الشر والمعصية ينبغي حسم مادته وسد ذريعته ودفع ما يفضي إليه إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة، مثال ذلك ما نهى عنه النبي ﷺ فقال: «لا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان». وقال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يومين إلا ومعها زوج أو ذو محرم». فنهى ﷺ عن الخلوة بالأجنبية والسفر بها لأنه ذريعة إلى الشر.

وذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول:

هل منْ سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها
أمْ منْ سبيلٍ إلى نصرِ بنِ حجّاجِ

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لا أرى معي بالمدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن، علي بنصر بن حجاج، فلما أصبح أُتي بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجهًا وأحسنهم شعْرًا، فقال عمر: عزيمة من أمير المؤمنين لنأخذن من شعْرك، فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر، فقال له: اعتم يلبس عمامة، يعني فاعتم فافتتن الناس بعينيه، فقال له عمر: والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ذنبي ؟ قال هو ما أقول لك، ثم سيَّره إلى البصرة، وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتًا وهي:

قل للإمام الذي تُخشى بوادرُهُ
ما لي وللخمرِ أو نصرِ بنِ حجّاجِ
لا تجعل الظنَّ حقًا أن تُبيّنهُ
إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي
إنّ الهوى زمَّ بالتقوى فتحبسه
حتى يقر بإلجام وإسراج

قال: فبكى عمر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى. المستطرف ٢/٣٥٥.

وروي عنه أنه بلغه أن رجلاً يجلس إليه الصبيان فنهى عن مجالسته.

٢- النهي عن الجلوس في الطرقات والوقوف على نواصي الشوارع:

وهذا من وسائل الشرع أيضًا وخططه لصيانة

الأعراض من التلوث، لأن ذلك يعطي انطلاقا للبصر ليرى الذاهب والآيب، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله ؛ ما لنا من مجالسنا من بدٌ نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». متفق عليه.

الله أكبر، أين شبابنا من هذا الأدب النبوي حين يقف الشباب على قارعة الطريق للمراقبة وإطلاق النظر، والاعتداء على الأعراض بالبصر؟.

٣- الإسلام يأمر المرأة بالحجاب:

عن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» متفق عليه.

لذلك أمر الإسلام المرأة بالحجاب «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» [الأحزاب: ٥٩].

والإدناء: من الدنو وهو القرب، والمعنى يغطين بها وجوههن وأبدانهن عند الخروج، وأمرها أيضا ألا تبدي زينتها لأجنبي، ولكن تبديها لمحارمها، أي الذين يحرم عليهم نكاحها أبدا، فكل من يحرم عليه الزواج من امرأة حرمة أبدية فهي من محارمه وهو محرم لها.

أيضا فإن ممن تبدو زينة المرأة لهم «التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ»، وهم الأتباع الذين ليسوا بأكفاء ولا همة لهم إلى النساء ولا حاجة، فلا يشتهونهن، وكذلك الأطفال الذين لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، وملك اليمين الذكر فيه خلاف.

كذلك فإن الإسلام ندب إلى ستر الوجه للنساء القواعد اللائي كبرن فلم يتشوفن إلى الزواج، ويئسن من الولد، فبعد أن أباح لهن كشف الوجه بقوله تعالى: «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [النور: ٦٠]. فندب إلى العفة بستر الوجه لأن فيها الخير. (فتاوى ورسائل للنساء لابن عثيمين، ص ١٤٧).

٤- الإسلام صريح في تحديد العورات للرجال والنساء:

أولا: عورة الرجل مع الرجل: قال الرازي في التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٧٦: «فأما الرجل مع الرجل فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنه إلا عورته، وعورته ما بين السرة والركبة، والسرة والركبة ليستا بعورة».

(ثانيا): عورة المرأة مع المرأة: قال أيضا: «أما عورة المرأة مع المرأة فكعورة الرجل مع الرجل فلها أن تنظر إلى جميع بدنها إلا ما بين السرة والركبة، وعند خوف الفتنة لا يجوز» انتهى، وهذا القول في عورة المرأة عام فيه تفصيل، فإن الله سبحانه وتعالى حينما بين في سورة النور الآية: (٣١) الفصائل التي يجوز للمرأة أن تبدي زينتها عليهم ذكر منهم «أو نسائهن».

فما هي الزينة التي تبديها المرأة على النساء؟

قال الآلوسي في تفسيره «روح البيان» ج ١٧ ص١٤٠: «هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها إلا لمن استثني في الآية بعدُ وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن».

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط» ج ٦ ص ٤١٢: «هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن- ثم قال-: وبدأ تعالى بالأزواج «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ» لأن اطلاعهم على أعظم من الزينة، ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة لما في نفوس البشر، فالأب والأخ ليسا كابن الزوج، فقد يبدى للأب ما لا يبدى لابن الزوج.

وقال القرطبي في تفسيره: ج ٢١ ص ٢٣٢: «ولما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم لما في نفوس البشر، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها».

ثالثا: عورة الرجل بالنسبة للمرأة: فهي من السرة إلى الركبة سواء كان الرجل محرما أو غير محرم، وهذا الراجح في شأن غير المحرم.

رابعا: وأما عورة المرأة بالنسبة للأجنبي: فجميع بدنها عورة على الصحيح وهو مذهب الشافعية والحنابلة، وقد نص الإمام أحمد على ذلك فقال: «كل شيء من المرأة عورة حتى الظفر». زاد المسير لابن الجوزي: ج ٥، ص ٣٥٦، سورة النور: ٣٠- ٣١.

٥- الإسلام ينهى المرأة عن ترقيق صوتها والخضوع في القول:

ومعلوم علة ذلك كما بين الله تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» [الأحزاب: ٣٢].

إذن فالإسلام يقطع الطريق على ضعاف النفوس، لأن التهم السمعية جاهزة لالتقاط الموجات الصوتية فتحدث الذبذبات القلبية فتقع الجرائم الاجتماعية «... والأذنان زناهما الاستماع...» متفق عليه.

وإذا كان صوت المرأة خاضعا من غير تعمد منها وإنما فيه رقة زائدة بحكم أنوثتها وطبيعتها فعليها أن تتقي الله، ولا تخرجه للأجانب إلا للضرورة الملحة، وفي أضيق الحدود، وبأقل الكلام، ويجوز للمرأة عامة التحدث للحاجة من بيع أو شراء أو الرد على طارق البيت وهكذا.

قال العلامة الآلوسي: «والمذكور في معتبرات الشافعية- وإليه أميل- أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة. روح المعاني للآلوسي.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة السادسة والتسعون

قصة كشف الوجه والكفين لأسماء بنت أبي بكر

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة أصحاب السفور ليتخذوها دليلاً على كشف وجوه نساء المؤمنين، وإلى القارئ الكريم بيان حقيقة هذه القصة الواهية بجميع طرقها:

أولاً: المتن

رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا»، وأشار إلى وجهه وكفيه. اهـ.

ثانياً: التخريج

١- هذه القصة أخرج حديثها الإمام أبو داود في «السنن» (٤/٦٢) ح(٤١٠٤) كتاب «اللباس»، باب «فيما تبدي المرأة من زينتها» قال: حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ومؤمل بن الفضل الحراني قالا: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن خالد، قال يعقوب: ابن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رِقاق... القصة.

٢- وأخرج الحديث أيضًا الإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٢٢٦) قال: أخبرنا أبو علي الروذباري، أنبانا أبو بكر محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ومؤمل بن الفضل الحراني قالا: حدثنا الوليد هو ابن مسلم... به.

٣- وأخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/٣٦٩) (٧٣/٨٠٥) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبدوس، حدثنا موسى بن أيوب النصيبي، حدثنا الوليد... به.

٤- وأخرجه أيضًا الإمام البيهقي في «السنن» (٢/٢٢٦) من طريق أبي أحمد بن عدي حيث قال: «أخبرنا أبو سعد المالينى، أنبانا أبو أحمد بن عدي، حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبدوس...» به.

ثالثاً: التحقيق

أولاً: هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية حديثٌ غريب.

حيث قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣/٣٧٣): «ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير».

ثانيًا: هذا الحديث الغريب مسلسل بالعلل:

١- قال أبو داود في «السنن» عقب هذا الحديث (٤١٠٤): «هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها».

٢- قتادة هو ابن دعامة السدوسي البصري، روى عن خالد بن دريك وغيره، وروى عنه سعيد بن بشير وغيره، كذا في «تهذيب الكمال» (١٥/٢٢٤/٥٤٣٤) للإمام المزي.

وقد أورده الإمام الحافظ ابن حجر في كتابه «طبقات المدلسين» في «المرتبة الثالثة» رقم (٢٦) قال: «قتادة بن دعامة السدوسي البصري... هو مشهور بالتدليس».

وهذه المرتبة الثالثة بيّنها الإمام الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه «طبقات المدلسين» قال: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع».

قلتُ: وهذا الحديث لم يصرح فيه قتادة بالسماع، بل عنعن، فلا يقبل حديثه، وكذا في «الميزان» (٣/٣٨٥) للإمام الذهبي.

٣- الوليد بن مسلم مدلس، وقد عنعن فلا يقبل حديثه، أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في الرابعة رقم (١١).

تلك المرتبة قال فيها الحافظ في المقدمة: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل».

٤- سعيد بن بشير:

أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤/٩)، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

أ- قال ابن معين: سعيد بن بشير ليس بشيء.

ب- وقال علي بن المديني: كان ضعيفًا.

جـ- وقال محمد بن عبد الله بن نمير: منكر الحديث ليس بشيء ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات.

د- وقال الساجي: حدّث عن قتادة بمناكير.

هـ- وقال الآجري عن أبي داود: «ضعيف». اهـ.

قلتُ: وأورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٣١٥) قال: «سعيد بن بشير كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ، يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه». اهـ.

وقال الحافظ العراقي في «شرح ألفيته» رقم (١١): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك، وإن كان عدلًا». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفًا نجد أن الحديث الذي جاءت به هذه القصة حديث متروك لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد.

٥- وهذه العلة الخامسة: «الاضطراب»:

قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣/٣٧٣): «ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير، وقال مرة فيه عن خالد بن دريك عن أم سلمة بدل عائشة». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن القصة واهية بهذا الإسناد التالف من حديث عائشة.

رابعًا: شاهد تالف للقصة من حديث أسماء بنت عميس:

١- المتن:

رُوي عن أسماء بنت عميس أنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها أختها أسماء، وعليها ثياب شامية واسعة الأكمام، فلما نظر إليها رسول الله ﷺ قام فخرج، فقالت لها عائشة: تَنَحَّيْ، فقد رأى رسول الله ﷺ أمرًا كرهه، فتنحت، فدخل رسول الله ﷺ، فسألته عائشة رضي الله عنها: لِمَ قام؟ فقال: «أولم تَرَيْ إلى هيئتها؟ إنه ليس للمرأة المسلمة أن يبدو منها إلا هذا وهذا». وأخذ بكُمّيه فغطى بهما كفّيه حتى لم يَبْدُ من كفيه إلا أصابعه، ونصب كفيه على صدغيه حتى لم يبد إلا وجهه.

٢- التخريج:

هذا السند أيضًا الذي جاءت به هذه القصة الواهية:

١- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/١٤٣): حدثنا أبو الزنباغ روح بن الفرج، حدثنا عمرو بن خالد الحراني، حدثنا ابن لهيعة عن عياض بن عبد الله أنه سمع إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصاري يخبر عن أبيه عن أسماء بنت عميس أنها قالت: دخل رسول الله ﷺ... القصة.

٢- وأخرجه الإمام الطبراني أيضًا في «المعجم الأوسط» (٩/١٧٩/٨٣٨٩) قال: حدثنا موسى بن سهل، قال: حدثنا محمد بن رمح، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن عياض بن عبد الله، به.

٣- وأخرجه الإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٨٦) قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن

عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد حدثنا أبو عمران الجوني به.

فائدة:

٤- قلت: نلاحظ أن شيخ شيخ البيهقي اجتمع مع الطبراني في شيخه أبي عمران الجوني، فشيخ الطبراني في الأوسط هو: موسى بن سهل، هو أبو عمران الجوني، حتى لا يظن من لا دراية له بالكنى أنهما اثنان.

وقد جعله علماء هذا الفن نوعًا من أنواع علوم الحديث، ولذلك قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢/٢٧٨):

النوع الخمسون في «الأسماء والكنى: أي معرفة أسماء من اشتهر بكنيته، وكنى من اشتهر باسمه، وينبغي العناية بذلك لئلا يذكر مرة الراوي باسمه، ومرة بكنيته فينظمها من لا معرفة له رجلين». اهـ.

قلت: فيظن من لا معرفة له أن موسى بن سهل شيخ الطبراني متابع لأبي عمران الجوني عند البيهقي، فيتوهم أن الاسم والكنية رجلان.

لذلك قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٥٨٠٣/٢٧٤/١٦) في ترجمة محمد بن رمح روى عنه: موسى بن سهل بن عبد الحميد أبو عمران الجوني البصري.

٣- التحقيق:

أ- قصة كشف الوجه والكفين لأسماء بنت أبي بكر من حديث أسماء بنت عميس حديث غريب، حيث قال الإمام الطبراني في «الأوسط» (٩/١٨٠/٨٣٨٩): «لا يُروى هذا الحديث عن أسماء بنت عميس إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابن لهيعة». اهـ.

قلت: وتفرد ابن لهيعة بتلك الرواية يجعلها رواية منكرة.

وذلك لقول الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع الرابع عشر: «معرفة المنكر من الحديث من الفرد الذي ليس في راويه من الثقة والإتقان ما يحتمل معه تفرده». اهـ.

فالتفرد إنما يحتمل من الثقات الحفاظ لا من الضعفاء والمجروحين.

ب- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/١١): عبد الله بن لهيعة كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأربع سنين. وكان أصحابنا يقولون: إن سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة فسماعهم صحيح، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء». اهـ.

٥- وفي «الجرح والتعديل» (٥/١٤٧): قال عمرو بن علي الفلاس: «عبد الله بن لهيعة، احترقت كتبه، فمن كتب عنه قبل ذلك مثل ابن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ أصح من الذين كتبوا بعدما احترقت الكتب، وهو ضعيف الحديث».

٦- قلت: قوله: «وهو ضعيف الحديث» أي: أنه في نفسه ضعيف بصرف النظر عن الرواة عنه، ولذلك ضعف الإمام البيهقي هذا السند الذي جاءت به هذه القصة فقال في «السنن الكبرى» (٧/٨٦): «إسناده ضعيف»، ولا يوجد في الصحيحين في مسند أسماء بنت عميس حديث واحد بهذا الإسناد، بل ولا في الكتب الستة.

٧- وبهذا يتبين أن حديث ابن لهيعة في قصة كشف الوجه واليدين حديث منكر، فهو حديث غريب فرد تفرد به ابن لهيعة ولا يروى إلا بهذا الإسناد كما بينا آنفًا من قول الإمام الطبراني في «الأوسط».

وقول الإمام الطبراني «لا يروى إلا بهذا الإسناد» يدل على أنه لا يروي أحد هذا الخبر عن عياض الفهري إلا ابن لهيعة، فلا يعرف له أصل من حديث عياض الفهري، كذلك لا يروي أحد هذا الخبر عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة غير عياض الفهري، وبهذا يتبين أن لا أصل له من حديث إبراهيم كذلك، ولا أصل له يعرف من حديث أبيه، ولا من حديث أسماء.

٨- غرابة حديث ابن لهيعة تدل على عدم اشتهار مخرجه، حيث إن مخرجه مدني يرويه إبراهيم بن عبيد عن أبيه وهما مدنيان، ومع هذا فلم يشتهر في المدينة، وإنما رواه إبراهيم بن عياض الفهري فقط، وهو مدني نزل مصر ولم يشتهر عن عياض أيضًا، وإنما تفرد به ابن لهيعة.

ولم يروه عن ابن لهيعة إلا عمرو بن خالد الحراني ومحمد بن رمح وهما ليسا ممن كان يأخذ من أصول ابن لهيعة مثل العبادلة الثلاثة ولم يروه عنه واحد من هؤلاء العبادلة الثلاثة كما بينا آنفًا، وهذا ما بينه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» وموضوعه الغرائب، وقد تقرر أن أغلب الاحاديث الغرائب مناكير وأخطاء.

كما قال الإمام أحمد وغيره من أهل العلم، كذا في «تدريب الراوي» (٢/١٨٢).

فالحديث الذي جاءت به هذه القصة ضعيف جدًا لا يصلح للاعتبار والاستشهاد.

خامسا: مرسل قتادة:

أخرج أبو داود في «المراسيل» (٤٣٧) قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود- هو سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند- حدثنا هشام- هو ابن أبي عبد الله الدستوائي- عن قتادة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجارية إذا حاضت لم يَصْلُح أن يرى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل».

قُلْتُ: نلاحظ أن هشاماً الدستوائي عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال:

١- إسقاط خالد بن دريك وعائشة، فلا يمتنع أن يكون قتادة أسقط خالداً وعائشة، وذكر الحديث مرسلاً، لأنه مدلس، فحينئذ يرجع إلى حديث خالد عن عائشة، والذي بينا أنه حديث واه.

٢- مراسيل قتادة من أضعف المراسيل، قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» رقم (١): «حدثنا أحمد بن سنان، قال: كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئًا ويقول: هو بمنزلة الريح ويقول: هؤلاء قوم حفاظ كانوا إذا سمعوا الشيء علقوه».

٣- وفي «تهذيب الكمال» (٢٣/٥١٠): قال جرير عن مغيرة عن الشُعبي: «قتادة حاطب ليل».

٤- وقال معتمر بن سليمان عن أبي عمرو بن العلاء: «كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء يأخذان عن كل واحد». قلت: وبهذا يسقط مرسل قتادة لأنه قد عرف عنه الرواية عن غير مقبول الرواية من مجهول ومجروح.

٥- وقتادة لم يكن من كبار التابعين ولا من الطبقة الوسطى من التابعين، كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٥)، وهذا يسقط مرسل قتادة أيضًا، ولا يصح له عاضد، فإن حديث سعيد بن بشير متروك لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، وكذلك حديث ابن لهيعة فهو ضعيف جداً.

سادساً: «حديث ابن جريج»:

قال ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٨/٩٣): «حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قالت عائشة: دَخَلَتْ عليَّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مُزَيّنة، فدخل النبي ﷺ، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله، إنها ابنة أخي وجارية، فقال: إذا عركت المرأة لم يحل أن تظهر إلا وجهها وإلا ما دون هذا». وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى». اهـ.

قلت: وهذه رواية منكرة متنًا لكشف الذراع إلى النصف، ثم إن ابن جريج وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٥٢٠): «كان يدلس ويرسل من السادسة».

والسادسة كما بين الحافظ في «مقدمة التقريب» (١/٦): «طبقة لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن هذا سند تالف، كما بين ذلك الإمام أحمد، حيث قال عبد الله بن أحمد في «العلل» (٣٦١٠): «قال أبي: وبعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذه، يعني: قوله: أخبرت وحدثت عن فلان». اهـ.

وابن جريج لم يسمع من عائشة رضي الله عنها أصلاً، بل لم يدركها وروايته عنها معضلة، بل لم يثبت له لقاء أحد من الصحابة، كما بينا آنفًا، فهو ليس من التابعين، وإذا كان ابن جريج إذا دلس عن الزهري ويحيى بن سعيد وصفوان بن سليم أسقط بينهما ضعفاء وهلكى وأتى عنهم بأحاديث موضوعة، كما بينا من قول الإمام أحمد آنفًا، فكيف إذا روى عمن لم يسمع منه أصلاً كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فإن أسقاطه للضعفاء والهلكى وإتيانه بالأباطيل والموضوعات يكون أكثر.

بهذا التحقيق يتضح أن القصة واهية وليس لها شاهد معتبر، بل يزيد بعضها بعضًا وهنًا على وهن، وحفظ الله نساء المؤمنين، من افتراءات الضعفاء والمجروحين، والمجلة لا تتسع صفحاتها لبيان بحثنا «القول المبين لجمهور المفسرين بتغطيه وجوه نساء المؤمنين».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

فتاوى المركز العام

نقل الأعضاء البشرية وزراعتها (بيعًا أو تبرعًا)

يسأل سائل يقول: عندنا مريض أصيب بالفشل الكلوي، وهو بحاجة إلى زراعة كلْية من شخص آخر، وعندي استعداد أن أعطيه كلية من جسدي، خاصة وأن الأطباء أكدوا لي سلامة كليتَيَّ، وإمكانية التبرع بواحدة، فهل يجوز هذا العمل، وهل يجوز أن أبيع شيئًا من جسدي لأحد المرضى، خاصة إذا كنت محتاجًا لثمنه؟

الجواب: صدرت بهذا الأمر فتوى من عدد من المؤتمرات والمجامع والهيئات، منها المؤتمرات الإسلامية المنعقدة بماليزيا، ومجمع الفقه الإسلامي، ولجنة الفتوى في مصر، واللجنة الدائمة بالسعودية، والجزائر، والأردن، قال العلماء: من شرط صحة البيع أن يكون الشيء المبيع ملكًا للبائع، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «أنه نهى عن بيع ما لا يملكه الإنسان». [رواه مسلم].

وأجمع أهل العلم على أن الإنسان لو باع ما لا يملكه، ولم يُجز مالكه له بيعه أن بيعه باطل.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «واتفقوا على أن بيع المرء ما لا يملك ولم يُجزه مالكه، فإنه باطل». [مراتب الإجماع لابن حزم ص٨٤].

ومعلوم أن أعضاء الإنسان ليست ملكًا للإنسان، ولم يؤذن له ببيعها شرعًا، فكان بيعه لها داخلاً في بيع الإنسان لما لا يملكه، ثم إن بيع الإنسان لأعضائه فيه امتهان له، والله عز وجل قد كرم بني آدم، فخالف مقصود الشارع من هذا الوجه، ولذلك نجد الفقهاء- رحمهم الله- ينصون على حرمة بيع أجزاء الآدمي، ويعللون التحريم بكون بيعها مخالفًا لتكريم الله تعالى للإنسان». [حاشية ابن عابدين ٤/١٤٥، والمغني لابن قدامة].

ولكن يجوز نقل دم أو عضو من إنسان إلى آخر محتاج إليه بالشروط الآتية:

١- قيام الضرورة وتحققها.

٢- عدم وجود بديل مباح.

٣- غلبة الظن بالانتفاع به.

٤- تحقق عدم الخطر على المأخوذ منه إذا لم يكن المنقول منه ميتًا، ويتحقق الخطر إما بفوات الانتفاع كلِّيَّة من المنقول منه، وإما بوفاته كنقل قلب أو كبد، ونحوهما.

٥- أن يكون المنقول منه أهلاً للتبرع، وليس لولي الصغير والمجنون ونحوهما الإذن، لأنه لا يتبرع بمالهما، فمن باب أولى ألا يتبرع بشيء من أجزائهما.

٦- إذن الميت قبل وفاته أو جميع ورثته بنقل أحد أعضائه بعد وفاته.

٧- أن يقوم بالنقل طبيب حاذق حتى لا يحدث امتهان وإيذاء حال النقل.

٨- أن يقتصر الأخذ على قدر الضرورة.
٩- عدم اشتراط العوض.
١٠- أن يقرر ذلك طبيبان ثقتان فأكثر.
١١- غلبة الظن بالنجاح. (فقه النوازل: د. بكر أبي زيد).

وإذا احتاج مريض إلى كلية مثلاً فلم يجدها إلا شراء جاز له الشراء للضرورة، وحرم البيع على البائع، فلا يطيب ثمنه في حقه، ويجوز نقل أجزاء من حي قد حل قتله كالحربي والزاني المحصن والمرتد، ومن فعل فعل قوم لوط، أخذًا مما صرح به بعض الشافعية وبعض الحنابلة من جواز أكل المضطر من جسم إنسان مهدر الدم، ومستند ذلك: يُحتمل الضرر الأخف لدرء الضرر الأشد، وإذا جاز أكله عندهم فجواز اقتطاع عضو منه ليُزرع في جسم معصوم مشرف على الهلاك من باب أولى، ولا يغيب عن البال حين تنفيذ الحدود على من وجبت عليه حرمة التمثيل به، والأصل أن اقتطاع أجزاء منه هو من التمثيل. ولكن ضرورة المستفيد المستنقذ أرجح في ميزان المصالح الشرعية من مجرد المثلة.

والكرامة الإنسانية في حق مهدر الدم مهدرة، وإلا لما أوجبت الشريعة قتله، وقد تبين من صريح قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أن الكرامة التي ميز الله الإنسان بها ليست نابعة من مجرد بشريته حتى تكون ملازمة له في كل الحالات، وإنما التكريم وصف يلازمه ما كان متجاوبًا مع فطرة عبوديته لله عز وجل مستقيمًا على طاعته والانصياع لأمره وسلطانه ولو في الجملة. وفي حال نقل الأعضاء من الحي عليه بالآتي:

١- لا يجوز له التبرع بعضو وحيد في الجسم كالقلب والكبد.
٢- لا يجوز التبرع بعضو ظاهر كالعين واليد والرجل لما في ذلك من تشويه الصورة.
٣- لا يجوز التبرع بعضو من الأعضاء المزدوجة إذا كان أحدهما عاطلاً أو مريضًا، وفي نقل إحدى الخصيتين خلافَ الراجح فيه عدم جوازه، وكذلك بويضة المرأة، وذلك لاختصاص الخصية والبويضة بنقل الخصائص الوراثية لصاحبها وأسرته، مما قد يؤدي إلى اختلاط الأنساب. والله أعلم.

مواريث

يسأل سائل: توفي رجل، وترك: زوجة، وأبًا، وأمًا، وبنتًا، وزوجةَ ابن متوفًى حُبلى، فهل لهذا الحمل نصيب في الميراث أم لا ؟

الجواب: للزوجة الثمن فرضًا لوجود الفرع الوارث، وهو البنت، وللأب السدس فرضًا، وللأم السدس فرضًا ؛ لقول الله عز وجل: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء].

وللبنت النصف ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾، والحمل إما أنه ابن ابن، أو ابنة ابن، فإذا كان ذكرًا أخذ الباقي بالتعصيب «لأولى رجل ذكر»، وإذا كان فرض أنه أنثى فتأخذ السدس تكملة للثلثين مع عمتها التي هي بنت الميت، والحمل يُحجز له أوفر النصيبين وهو السدس وتعول، فإن وُلد ذكرًا أخذ الباقي تعصيبًا ولا عول. والله أعلم.

ويسأل سائل:

توفي رجل وترك أختًا لأب، وأبناء أخ شقيق ذكور وإناث، وأبناء أخ لأم، فما نصيب كل واحد ؟

الجواب: الأخت لأب لها النصف فرضًا، والباقي لأبناء الأخ الشقيق الذكور تعصيبًا، ولا شيء لبنات الأخ الشقيق، ولا لأولاد الأخ لأم.

ويسأل سائل:

توفي رجل وترك زوجة وأبناء أخ شقيق رجالاً ونساءً، فما نصيب كل فرد؟

الجواب: للزوجة الربع فرضًا لعدم وجود فرع وارث، والباقي لأبناء الأخ الشقيق الذكور تعصيبًا وأما الإناث فلا شيء لهن.

حكم قتل القطط

يسأل أحمد مادح أحمد دبش- كفر الشيخ:

يقول: عندنا قطة تأتي إلى البيت ونحن لا نرغب فيها لأنها تؤذينا وتتبرز أمام المسكن، وحاولنا إبعادها فجرحت أحدنا، فأردنا قتلها فقالوا لنا: حرام، فماذا نفعل؟

والجواب: ذكر مسلم في صحيحه باب تحريم قتل الهرة أن رسول الله ﷺ قال: عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. (أي هوامها ودوابها).

والحديث يدل على تحريم قتل الهرة وتعذيبها، لكن إذا كانت القطة مؤذية ومتوحشة تفترس دواجن البيت- مثلاً- أو تؤذي الأطفال فإنها تقتل ولا حرج، لكن بدون تعذيب أو حبس ؛ لقول النبي ﷺ: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة». [رواه مسلم].

أما حديث: «إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات». (صحيح: أبو داود). فدلالته على طهارة الهر وطهارة سؤره ؛ أي لعابه، ولا علاقة له بقلتها، والله أعلم.

شرب الحشيش

ويسأل نفس السائل: يقول: ما حكم شرب الحشيش؟ وما هي مدة إبطاله للصلاة ؟ وهل الحشيش ينجس الدم مثل الخمر ؟

الجواب: الحشيش نوعان ؛ حشيش تأكله بهيمة الأنعام، وحشيش يشربه بعض الناس، فأما ما يخص بهيمة الأنعام فليس محل السؤال، وأما ما يخص الإنسان فهو نبات معروف بالإسكار والتخدير، وقد نهى النبي ﷺ عن تناول كل مسكر، كما في حديث ابن عمر مرفوعًا: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام». [رواه مسلم].

وكان النبي ﷺ إذا سئل عن شيء من هذا أحرام أو حلال ؟ كان لا يعتبر بالاسم مثلما يعتبر بالوصف، فيسأله الناس قائلين: يا رسول الله، إنا بأرض باردة ونعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شرابًا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، قال: «هل يُسكر؟» قالوا: نعم، قال: «فاجتنبوه». قالوا: إن الناس غير تاركيه ؟ قال: «إن لم يتركوه فقاتلوهم». [أبو داود: صحيح].

وكان ﷺ يقول: «إن من الحنطة خمرًا، وإن من الشعير خمرًا، وإن من التمر خمرًا، وإن من الزبيب خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وأنا أنهى عن كل مسكر». [أحمد والترمذي، صحيح].

وكل مسكر رجس من عمل الشيطان فليجتنبه بنو الإنسان، والله المستعان.

نتيجة مسابقة السنة النبوية

المستوى الأول

١-	نورا عبد الشافي أحمد بكر	أسكر - الصف - جيزة
٢-	مصطفى محمد أمين القطب	المحلة الكبرى
٣-	سيدة عبد العال إبراهيم دياب	أسكر - الصف - جيزة
٤-	يسرا عادل شحاتة السري	دمياط - البصارطة
٥-	محمد خالد فرحان محسب	اهناسيا الخضراء - بني سويف
٦-	أحمد السيد عبد القادر يوسف	بلبيس - شرقية
٧-	محمد عبد الصمد عبد العظيم حسين	الزقازيق - شرقية
٨-	محمد يوسف عباس على	أسكر - الصف - جيزة
٩-	أنس محمد عبد المنعم محمد	القنايات - شرقية
١٠-	محمد عبد الجليل إبراهيم موسى	طنطا - غربية
١١-	محمد على أحمد عبد الله	الفيوم - أبشواي
١٢-	حاتم أحمد محمد الشحري	أبو زعبل - قليوبية
١٣-	أحمد عبد السلام نصار محمد	بلبيس - شرقية
١٤-	أحمد فهمي محمد الصباغ	دسوق - كفر الشيخ
١٥-	محمد جمال أبو الغيط خاطر	٦ أكتوبر - القاهرة
١٦-	أنس حامد محمد عوف	دمياط الجديدة - دمياط
١٧-	عبد الحميد محمد محمد عبد الحميد	العواسجة - ههيا - شرقية
١٨-	بدر عثمان على	منشية البكاري - جيزة
١٩-	محمد محمود عبد الهادي على الوسطاني	دمياط
٢٠-	سمية بشير السيد غالي	منشية سمنود - دقهلية

المستوى الثاني

١-	حمدية عبد الله حسين	أسكر - الصف - جيزة
٢-	عبير أحمد كامل محمد	أسكر - الصف - جيزة
٣-	على عبد الحكيم على سيد أحمد	بلقاس - دقهلية
٤-	شيماء إسماعيل على إبراهيم	حلوان
٥-	محمد حسن عطية إسماعيل	أبو حمص - بحيرة
٦-	شيماء محمود عرنسة	دمياط - منية دمياط
٧-	كوثر محمد محمود	الكريمات
٨-	منى محمد حسن إبراهيم	أسكر - الصف - جيزة
٩-	مايسة رمضان فرحات حسين	بني سويف - ببا
١٠-	إسراء يحيى طه أحمد	بني سويف - ببا
١١-	طاهر السيد كمال الزغبي	دسوق - كفر الشيخ
١٢-	أسماء مصطفى حسن سيد	السويس
١٣-	أحمد نصر حسين عبد العاطي	الطيبة - الزقازيق
١٤-	أحمد عياد محمد العباوي	العدلية - بلبيس - شرقية
١٥-	عبد الرحمن مصطفى حسن سيد	السويس
١٦-	محمد أبو الفتوح محمد محمد مصطفى	فرسيس - الزقازيق
١٧-	أحمد رافت فودة متولي	الزقازيق
١٨-	محمد السعيد أحمد محمد	الزقازيق
١٩-	جهاد قرني عوض عبد اللطيف	بني سويف - ببا
٢٠-	هدى أحمد كمال محمد	العمرانية الغربية - جيزة

المستوى الثالث

١-	حسني عبدالمنعم إبراهيم عطية	أجا - دقهلية
٢-	محمد نصر أبو سريع محمد الطحان	كرداسة - جيزة
٣-	أحمد جمعة محمد السيد	كرداسة - جيزة
٤-	عبير رياض عبده السقا	دمياط
٥-	محمد عبدالحفيظ غريب عبدالمنعم	حلوان - القاهرة
٦-	محمد محمد محمود الأشوح	بدرشين - جيزة
٧-	أحمد عفيفي عبدالحكيم برين	الباجور - منوفية
٨-	محمود عبداللطيف إبراهيم موسى	بسيون - غربية
٩-	أحمد متولي عبادي	بلبيس - شرقية
١٠-	وفاء محمد بيومي السيد	الزقازيق - شرقية
١١-	إيمان سيد خليل إبراهيم	أسكر - جيزة
١٢-	ضحى جمال شعبان	بني سويف
١٣-	وفاء محمد عبدالفتاح محمد	أسكر - جيزة
١٤-	فاطمة محمد محمود محمد	التبين - حلوان
١٥-	إسراء مصطفى محمد الزيادي	بلبيس - شرقية
١٦-	حمادة توكل فايد البلقاسي	منصورة دقهلية
١٧-	محمود عبدالرحمن مبروك أحمد بلال	الصف - جيزة
١٨-	يحيى زكريا محمد السيد سعدون	ههيا - شرقية
١٩-	رقية إبراهيم عبدالبديع محمد صقر	المرج - القاهرة
٢٠-	أحمد زكريا إبراهيم درويش	طنطا - غربية

المستوى الرابع

١-	إيمان أحمد عبدالفتاح محمد على	بلبيس - شرقية
٢-	محمد السيد عبدالرحمن محمد	كفر صقر - شرقية
٣-	إيمان فهمي فرج عبدربه	فيصل - جيزة
٤-	دعاء رضا محمد الطنطاوي	دمياط
٥-	عبدالله محمد شلبي عبدالخالق عبدالرحمن	عين شمس - القاهرة
٦-	أسماء أشرف وهيب حسن	بلبيس - شرقية
٧-	فاطمة عبدالحميد محمود عطية	ديرب نجم - شرقية
٨-	نسرين عدلي محمد حسن البدالي	السرو - دمياط
٩-	طارق محي الدين محمد الطواب	منوف - منوفية
١٠-	عبدالله السيد نعناعة	قلين - كفر الشيخ
١١-	إيمان رضا محمد الطنطاوي	منية دمياط - دمياط
١٢-	إيمان محمد محمود حسين	الزقازيق - شرقية
١٣-	أماني السيد محمد سيد أحمد	ديرب نجم - شرقية
١٤-	ولاء فهمي فرج عبدربه	ديرب نجم - شرقية
١٥-	رقية عادل شحاتة السري	البصارطة - دمياط
١٦-	فاطمة محمد مصطفى كمال	بني سويف
١٧-	أبو بكر أحمد محمد الصادق	بلبيس - شرقية
١٨-	محمد حسني غلاب	منشاة البكاري - جيزة
١٩-	أحمد محمد عبدالله أحمد	بلبيس - شرقية
٢٠-	إيمان محمد مصطفى عبدالسلام	شرقية

وسوف يقام حفل لتوزيع الجوائز وتكريم الفائزين بمقر المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية يوم الأحد ١٠ رجب ١٤٢٩ هـ الموافق ١٣ / ٧ / ٢٠٠٨ م عقب صلاة الظهر مباشرة والله الموفق

احتقار اليهود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ادعى اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنهم عند الله أفضل من الملائكة، وأن من سواهم شعوب وضيعة لا يصلون إلى درجة الإنسانية، وإنما هم حيوانات خُلقوا لخدمة أسيادهم من اليهود !!

ورسخ ذلك المعتقد في قلوب حاخاماتهم، حتى صار لهم دينًا ومعتقدًا، وحقائق نزل بها الوحي، وإليك أخي القارئ نماذج مما ورد في كتبهم حول هذا المعتقد الفاسد:

١- جاء في «التلمود»: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح غير اليهودية، فهي أرواح شيطانية، شبيهة بأرواح الحيوانات». (إسرائيل والتلمود ص٦٧).

بل يزعمون أن أرواح غيرهم مصدرها النجاسة، فهي تحدرت من الشق النجس. (راجع «فضح اليهود» ص٩٧).

٢- يعتقد اليهود نجاسة مخالفيهم، طالما أن أصلهم نجس فهم لا يطهرون أبدًا، ففي سفر اللاويين (الإصحاح ١٨، فقرة ٢٨): «لا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب التي قبلكم».

وإن سألت عن سبب هذه النجاسة في اعتقادهم، ذلك لأنهم لم يكونوا موجودين على جبل سيناء، لكن اليهود تطهروا من ذلك حين استمروا واقفين على جبل سيناء...». (فضح التلمود ص٩٠).

بل يذهب المغضوب عليهم إلى نجاسة كل بني آدم وأمهم حواء لأن الأفعى حين دخلت في حواء سكبت فيها النجاسة.

واليهود لم يقفوا عند هذا الحد، بل رتبوا على ذلك عادات وطقوسًا، فحرموا مخالطة غيرهم، وحرموا استعمال آنيتهم والأكل من أكلهم والتعامل معهم، ففي «فضح التلمود»: «محرمة الأشياء الخاصة بالغويم- الغويم مَنْ سوى اليهود- الحليب الذي يستدرونه من البقر ومحرم أيضًا خبزهم». (ص١١٥).

وآنية غير اليهود لا يجوز استعمالها إلا بعد غسلها والمبالغة في الغسل لإزالة النجاسة المتعلقة بها من استخدام الأمميين، بل تعدى الأمر عندهم إلى حد أن المرأة اليهودية يجب عليها الغسل إذا نظرت إلى أممي.

يقول الحاخام «أريل»: «يلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام، شيئًا نجسًا كالكلب أو حمار أو مجنون أو أممي أو جمل أو خنزير أو حصان أو مجذوم، والخارج من دين اليهود حيوان على العموم، سمه كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا، والنطفة التي هو منها نطفة حيوان». (الكنز المرصود ص٦٨).

وترتب على ذلك الاعتقاد اعتزالهم عن بقية الشعوب فقضوا على أنفسهم في الدنيا، وفي الآخرة سيجازيهم ربهم بافترائهم الكذب والبهتان.

وفي الختام انظر إلى ما قاله أحد حاخامتهم عن الشعوب غير اليهودية: «إن الكلب أفضل من الأجانب ؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضًا أن يعطيهم لحمًا بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم». (الكنز المرصود ص٦٧، ٦٨).

مشابهة الرافضة لليهود في ذلك

على نفس درب المغضوب عليهم، سارت الرافضة التي تبعتهم حذو القذة بالقذة، وكتب الرافضة تطفح بتلك المعتقدات في احتقارهم لمن سواهم من البشر، فهم يعتقدون:

١- أن الله خلق مخالفيهم من طينة غير طينتهم، وأنهم خلقوا للنار.

٢- نجاسة المخالفين لهم.

٣- إطلاقهم أسماء الحيوانات على مخالفيهم.

٤- رميهم لمن خالفهم أنهم أبناء زنى.

وإليك أخي بعضًا من النصوص التي تبين تلك المعتقدات- الفاسدة- في كتب الرافضة:

١- ما رواه المجلسي في «البحار» عن المفيد بسنده، إلى أبي جعفر أنه قال: «إنا وشيعتنا خُلقنا من طينةً من عليين، وخُلق عدونا من طينة خبال من حمأ مسنون». (بحار الأنوار ٨/٢٥).

قاتلهم الله تعالى، فالله لم يقل ذلك عمن آمن به ومن لم يؤمن، وإنما خاطب العباد كلهم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

والرافضة لغيرهم

إعداد/ أسـامة سليمـان

الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾.

٢- ما رواه الصفار عن أبي عبد الله أنه قال: إن الله خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الناصب من طينة النار. (بصائر الدرجات ص٣٦).

٣- روى الطوسي عن محمد ابن الحنفية أنه كان يحدث عن أبيه أنه قال: «ما خلق الله عز وجل شيئًا أشر من الكلب، والناصب أشر منه». (أمالي الطوسي ص٢٧٩).

٤- روى البرقي والصدوق: عن أبي عبد الله أنه قال: «إن نوحا- عليه السلام- حمل في السفينة الكلب والخنزير ولم يحمل فيها ولد الزنى، والناصب شر من ولد الزنى». (البرقي: المحاسن ص١٨٥).

٥- روى الكليني عن أبي عبد الله- عليه السلام- : أنه كره سؤر ولد الزنى وسؤر اليهودي والنصراني والمشرك، وكل ما خالف الإسلام، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب». (الفروع من الكافي ٣/١١).

٦- عن خالد القسلاني قال: قلت لأبي عبد الله- عليه السلام-: ألقى الذمي فيصافحني. قال: امسحها بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصب؟ قال: اغسلها. (الأصول من الكافي ٢/٦٥٠).

٧- يفتري المفيد الكذب على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة دعي الناس كلهم بأسماء أمهاتهم ما خلا شيعتنا فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم». (الإرشاد ص٤٠).

قلت: وكيف يُدعى الصحابة الذين رضيت عنهم الشيعة مع أنهم ليسوا من شيعتهم؟ لا شك في ظهور الوضع في النص والخلل متمكن منه.

يقول الهالك «الخوميني» في تحرير الوسيلة: «وأما النواصب والخوارج- لعنهما الله- فهما نجسان من غير توقف، وذلك على جحودهما الراجع إلى إنكار الرسالة». (١/١٠٧).

مما سبق من نصوص يتبين لنا كيف ينظر الرافضة إلى أهل السنة، ولكل من خالفهم، من حيث نجاستهم، وتفضيل الحيوانات عليهم، ومدى التطابق بين عقائد اليهود والرافضة في كل شيء إلى هذا الحد بلغ الحقد بالقوم على أهل السنة والجماعة، وإليك بعض أشعارهم التي تظهر اتهامهم لأهل السنة بأنهم أولاد زنى:

طابت موالدنا بحب أئمة
هم طاهرون من العيوب أطايب
وموالد النُّصَّاب قد خبثت
ففيها شبهة معروفة وشوائب
إبليس يشرك فيهم آباءهم
فالخبث فيهم لا محالة لازب

وبذلك يتضح أن اليهود ما سلكوا مسلكًا إلا وسلكه الرافضة خلفهم، وما ابتدعوا بدعة في دين رب العالمين، إلا هرول وراءهم الرافضة.

هل هذا يستقيم مع أمر الله لعباده بعدم سخرية بعضهم من بعض؟ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

هل هذا يستقيم مع نهي رب العالمين لعباده عن أن يتنابزوا بالألقاب؟ يقول جل شأنه: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾، ثم من يستحق الشبه بالكلاب والخنازير والحمير الذين مسخهم الله تعالى، فقال لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، والذين قال فيهم الحق عز وجل: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أليس هم كل من خرج عن شريعة نبيه واتبع الهوى من دون الله أمثالهم؟

أين الرافضة من قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره». أين هم من قول رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم في الختام أقول للذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها: مثلكم في كتاب الله كمثل الحمار يحمل أسفارًا، ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

والله من وراء القصد.

من الآداب الإسلامية

السلام: التحية المباركة الطيبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

الموت: هو مفارقة الروح الجسد، وهو انتقال وتغير حال، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وهو همزة وصل بين الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة.

والموت هو الحقيقة التي لا شك فيها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، وهو حق على كل مخلوق.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فهو وحده سبحانه الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد بالديمومة والبقاء.

والإسلام يكرم الإنسان حيًا وميتًا، ويعلم البشرية بأسرها كيفية التعامل مع الأموات.

يقول ابن القيم- ملخصًا هدي الإسلام في الجنائز-: إنه أكمل الهدي، مخالف لهدي سائر الأمم، إنه مشتمل على الإحسان للميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي فيما يعامل به الميت، وكان من هديه ﷺ في الجنائز: إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه، ووقوف أصحابه، صفوفًا يحمدون الله ويستغفرونه، ويسألونه المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعه قبره، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة إلى قبره، والسلام عليه والدعاء له، كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا.

(راجع زاد المعاد/١ ١٣٩).

والتقرب إلى الله تعالى عن الميت له صورتان:

الصورة الأولى: السلام على الميت، ويشمل: الدعاء والاستغفار، ونحوهما.

الصورة الثانية: الأعمال الصالحة، وفيها تفصيل ليس هذا محله.

أما الصورة الأولى وهي: السلام على الميت.

أولاً: السلام على النبي ﷺ:

لا خلاف بين أهل العلم على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: إن زيارة قبر الرسول ﷺ من أفضل الأعمال، وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع. (راجع فتح الباري: /٣ ٤٣).

وقال القاضي عياض: زيارة قبر النبي ﷺ سنة من سنن المرسلين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها.

راجع (الشفا: بشرح الملا علي القاري (/٢ ١٤٨).

الحلقة التاسعة

السلام على الموتى

إعداد/ سعيد عامر

والأصل في الزيارة على الراجح، أن يكون المقصود زيارة المسجد النبوي، والقبر الشريف تابعًا له. إما في حال إرادة القبر للزيارة ابتداءً فلا يجوز، وهذا ما ذهب إليه الشافعية وابن تيمية من الحنابلة. (راجع فتح ٣/ ٦٥).

ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مَسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

والحديث صريح في تحريم السفر للعبادة إلى غير المساجد الثلاثة، ويعظم الإثم إذا قصد المسافر بسفره قبرًا ليعظمه، ويغلو بصاحبه، فهذا إن كان يعتقد أن دعاء الله عنده أفضل فهو مبتدع، وإن كان يدعو صاحب القبر فهو مشرك. والبعض قال: إن النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم، لكون النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء راكبًا، وتعقب بأن مجيئه ﷺ إلى قباء إنما كان لمواصلة الأنصار، وتفقد أحوالهم، وحال من تأخر منهم عن حضور الجماعة معه، وهذا هو السر في تخصيص ذلك بالسبب.

روى مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قُباء راكبًا وماشيًا. وفي رواية: كان ابن عمر يأتي قُباءً كلَّ سبت، وكان يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ يأتيه كلَّ سبت.

ويمكن أن يُقال: إن المراد من النهي عن شد الرحال، النهي عن السفر، وهذه المسافة لا يطلق عليها سفر، فتحريم السفر إلى غير المساجد الثلاثة هو سد لذريعة الشرك ووسائله المفضية إليه، فإن الشرك لم يحدث إلا من تعظيم البقاع والأمكنة التي لم يعظمها الله تعالى، ولم يشرع الرحلة إليها، لا سيما الأمكنة التي فيها قبور أنبياء، أو أولياء أو علماء ونحوهم.

ففي الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة ذكرت كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

وفي رواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

فالزيارة الشرعية إلى المدينة هي أن يقصد المسافر العبادة في المسجد النبوي الشريف، الذي جعل الله له ميزة وشرفًا، وضاعف فيه الثواب للأعمال الصالحة، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة»، «أو كألف صلاة» فيما سواه من المساجد، إلا أن يكون المسجد الحرام.

فالزيارة الشرعية إلى المدينة هي أن يقصد المسافر العبادة في المسجد النبوي الشريف، فإذا وصل إليه زار القبر الشريف، وقبري الصاحبيْن الكريمين أبي بكر وعمر،

رضي الله عنها؛ لحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». فهذه رحلة شرعية وقصد حسن مشروع. راجع توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٦/ ١٢٣ - ١٢٤).

آداب زيارة قبر النبي ﷺ

من أهم الآداب التي يتحلى بها المسلم عند زيارة قبر النبي ﷺ:

١- عقد النية على زيارة المسجد النبوي، والقبر الشريف تبع له.

٢- عدم رفع الصوت عنده ؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

وهذا الأدب الرفيع العالي في حضرة النبي ﷺ، وممتد بعد مماته، وكان عمر رضي الله عنه يعاقب من يرفع صوته في المسجد النبوي الشريف بعد موت رسول الله ﷺ.

فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما ؟ أو: من أين أنتما ؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟ [رواه البخاري].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا. وكلامه المأثور يعدُّ كلامه المسموع في لفظه ﷺ، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه.

٣- الوقوف بين يدي القبر الشريف، وتقديم السلام بتوقير دون تجاوز.

يقول الإمام النووي رحمه الله: ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ، ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر، كما يكره مسحه باليد وتقبيله. (المجموع ٨/ ٢١٧) بتصرف.

ويقول ابن قدامة: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ، فعليه أن يسلم عليه بأجمل ما يعرف من صيغ التسليم، والصلاة، فيقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وسلم، وجزاك عن أمتك خيرًا.

٥- السلام على أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما: السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا، ثم يخطو عن يمينه خطوة أو خطوتين ليقف أمام عمر رضي الله عنه، فيسلم عليه، فيقع قبره إلى اليمين قدر ذراع من قبر أبي بكر، ذلك أن رأسه عند كتف أبي بكر رضي الله عنهما، ثم يقول: السلام عليك يا عمر أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك، وجزاك عن أمة محمد خيرًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين. وللحديث بقية.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفيت يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ جمادى الآخرة والدة أخونا الحبيب الشيخ/ فهد الحسينان - مسئول المشروعات في لجنة العالم العربي بجمعية إحياء التراث بالكويت، وأسرة تحرير المجلة خاصة، وأنصار السنة عامة، تدعو الله العلي القدير أن يرحم المتوفاة، وأن يحشرها مع النبيين والصديقين والشهداء، وخالص تعازينا إلى أخونا الحبيب الشيخ/ فهد، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

أحكام اللحية

إعداد/ **صلاح نجيب الدق**

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن إعفاء اللحية من سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، وهذه اللحية لها أحكام شرعية تتعلق بها، سوف نتحدث عنها بإيجاز فنقول وبالله التوفيق:

تعريف اللحية

هي الشعر الذي ينبت على الخدين والذقن، والجمع لِحًى، ولُحًى بالضم. (لسان العرب ٥/٤٠١٦).

اللحية زينة للرجال

قال ابن القيم: شعر اللحية فيه منافع: منها: الزينة والوقار والهيبة، ولهذا لا نرى على الصبيان والنساء من الهيبة والوقار ما يُرى على ذوي اللحى، ومنها التمييز بين الرجال. (التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٣١٥).

صفة لحية نبينا ﷺ

١- عن أبي معمر قال: قلنا لخباب: أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر، قال: نعم، قلنا: بم كنتم تعرفون ذلك ؟ قال: باضطراب لحيته. (البخاري ٧٦١).

٢- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط (شاب) مقدم رأسه ولحيته وكان إذا دهن لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية. (مسلم ٣/٢٣٤٤).

وعن البراء قال: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا عريض ما بين المنكبين كث اللحية، تعلوه حمرة، جُمَّته إلى شحمتي أذنيه، لقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت أحسن منه. [النسائي ٣/٣٩٣ (صحيح)].

تنبيه هام: يجب أن يكون من المعلوم أن الحديث الذي فيه أن نبينا ﷺ كان يأخذ من طول لحيته وعرضها، حديث موضوع، ولا تقوم به حجة عند علماء الحديث. (السلسلة الضعيفة ١/٣٠٤ ح٢٨٨).

حكم إعفاء اللحية

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: خالفوا المشركين، وفروا اللحى وأحفوا الشوارب. وفي رواية مسلم: وأوفوا اللحى. (البخاري ح٥٨٩٣، ومسلم ٥٤).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس». [مسلم ٢٦٠].

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحية. [مسلم ح٥٣].

قال الفقهاء: إن الأمر يدل على الوجوب حقيقة، وإنما يُصرف إلى غيره بوجود قرينة، وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأصوليين.

وعلى ذلك نقول وبالله تعالى التوفيق: جميع الألفاظ التي وردت في هذه الأحاديث النبوية السابقة تأمر بإعفاء اللحية وتوفيرها وإرخائها، وهي تدل على الوجوب، لعدم وجود الصارف أو القرينة التي تدل على خلاف ذلك، فيجب إعفاء اللحية، وعدم التعرض لها بالحلق، أو التقصير، أو أخذ أي شيء منها، وهذا مذهب جمهور العلماء.

فتاوى العلماء في حكم إعفاء اللحية

نذكر بعضًا من فتاوى العلماء في حكم حلق اللحية:

١- قال الإمام الشافعي رحمه الله: اللحية من تمام خلْقة الرجل. (الأم ٦/٨٣).

٢- قال ابن حزم رحمه الله: أما فرض قص

الشارب وإعفاء اللحية فلحديث: «خالفوا المشركين، أحفوا الشارب وأعفوا اللحى». [المحلى ٢/٢٢٠].

وقال ابن حزم أيضًا: اتفق الفقهاء على أن حلق جميع اللحية مُثْلة، لا تجوز. [مراتب الإجماع ص٢٥٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: جاء في اللحية خمس روايات: أعفوا، وأوفوا، وأرخوا، ووفروا، ومعناها كلها: تركها على حالها، هذا هو الظاهر من الحديث الذي تقتضيه ألفاظه، وقال النووي أيضًا: والمختار ترك اللحية على حالها وألا يتعرض لها بتقصير شيء أصلاً. [مسلم بشرح النووي ٢/١٥٣، ١٥٤].

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: يحرم حلق اللحية. (الفتاوى الكبرى ٥/٣٠٢).

٥- قال الحصكفي- رحمه الله- (من علماء المذهب الحنفي): «يحرم على الرجل قطع لحيته». (رد المحتار للحصكفي ٥/٢٦١).

٦- قال ابن مفلح الحنبلي- رحمه الله- (من علماء المذهب الحنبلي): «يعفي الرجل لحيته، ويحرم حلقها». (الفروع لابن مفلح الحنبلي ١/١٠٠).

٧- قال العدوي- رحمه الله- (من علماء المذهب المالكي): يحرم إزالة شعر اللحية. (حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ٨/٨٩).

٨- قال الشيخ علي محفوظ- رحمه الله- (عضو هيئة كبار العلماء بمصر): من أقبح العادات: ما اعتاده الناس اليوم من حلق اللحية، وتوفير الشارب، وهذه البدعة سرت إلى المصريين من مخالطة الأجانب، واستحسان عوائدهم، حتى استقبحوا محاسن دينهم، وهجروا سنة نبيهم ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب». [البخاري ٥٨٩٢].

والأحاديث في ذلك كثيرة، وكلها نص في وجوب توفير اللحية، وحرمة حلقها، والأخذ منها. (الإبداع لعلي محفوظ ص٤٠٨، ٤٠٩].

٩- قال الشيخ عطية صقر (رئيس لجنة الفتوى بالأزهر)- رحمه الله- بعد أن ذكر أدلة الفقهاء في حكم إعفاء اللحية: أرى أن أدلة الطلب (أي بإعفاء اللحية) قوية، وأن القول بالوجوب (أي وجوب إعفاء اللحية) هو قول جمهور الفقهاء، فهو أرجح. (فتاوى عطية صقر ج/٢ فتوى رقم ٥٧٥ ص٢٤٥).

١٠- سُئل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عن حكم إطلاق الأفراد المجندين اللحى، فقال رحمه الله بعد أن ذكر أدلة إعفاء اللحية وأقوال العلماء:

إن ترك اللحية وإطلاقها أمر تقره أحكام الإسلام وسننه، إن الفقهاء قد اعتبروا التعدي بإتلاف شعر اللحية حتى لا ينبت جناية من الجنايات التي تستوجب المساءلة، إما بالدية الكاملة كما قال الأئمة أبو حنيفة وأحمد والثوري، أو دية يقدرها الخبراء كما قال الإمامان مالك والشافعي، ولا شك أن هذا الاعتبار من هؤلاء الأئمة يؤكد أن اللحى وإطلاقها أمر مرغوب فيه في الإسلام وأنه من سننه التي ينبغي المحافظة عليها، لما كان ذلك، كان إطلاق الأفراد المجندين اللحى اتباعًا لسنة الإسلام، فلا يؤاخذون على ذلك في ذاته، ولا ينبغي إجبارهم على إزالتها، أو عقابهم بسبب إطلاقها ؛ إذ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وهم متبعون لسنة عملية جرى بها الإسلام، ولما كانوا في إطلاقهم اللحى مقتدين برسول الله ﷺ لم يجز أن يؤثموا أو يعاقبوا، بل إن من الصالح العام ترغيب الأفراد المجندين وغيرهم في الالتزام بأحكام الدين، فرائضه وسننه، لما في هذا من حفز همتهم، ودفعهم لتحمل المشاق، والالتزام عن طيب نفس حيث يعملون بإيمان وإخلاص، وتبعًا لهذا لا يعتبر امتناع الأفراد الذين أطلقوا اللحى عن إزالتها رافضين عمدًا لأوامر عسكرية، لأنه بافتراض وجود هذا الأمر- فإنها- فيما يبدو لا تتصل من قريب أو بعيد بمهمة الأفراد، أو تقلل من جهدهم، وإنما قد تكسبهم سمات وخشونة الرجال، وهذا ما تتطلبه المهام المنوطة بهم، ولا يُقال إن مخالفة المشركين تقتضي- الآن- حلق اللحى، لأن كثيرين من غير المسلمين في الجيوش وفي خارجها يطلقون اللحى، لأنه شتان بين من يطلقها عبادة اتباعًا لسنة الإسلام، وبين من يطلقها لمجرد التجمل وإضفاء سمات الرجولة على نفسه، فالأول منقاد لعبادة يُثاب عليها، إن شاء الله تعالى، والآخر يرتديها كالثوب الذي يرتديه ثم يزدريه بعد أن تنتهي مهمته، ولقد عاب الله الناهين عن طاعته

وتوعدهم: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: ٩-١٤]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

«فتاوى دار الإفتاء المصرية ج١، فتوى رقم ١٢٨٢ ص٣٤٧٨، ٣٤٨٠».

حكم الاستهزاء بمن أعفى لحيته

لا يجوز الاستهزاء بمن أعفى لحيته ؛ لأنه أعفاها استجابة لأمر رسول الله ﷺ، وينبغي نصح المستهزئ، وإرشاده، وبيان أن استهزاءه ممن أعفى لحيته جريمة عظيمة يخشى على صاحبها من الردة عن الإسلام ؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٤].

(فتاوى اللجنة الدائمة /٢ص٥٤، ٥٥).

شبهات والرد عليها

نذكر بعض الشبهات التي يثيرها بعض الناس في شأن اللحية وأصحاب اللحى، ونذكر أيضًا الرد على هذه الشبهات:

الشبهة الأولى: يقول بعض الناس إن سبب إعفاء اللحية مخالفة غير المسلمين، وهذه العلة غير موجودة الآن ؛ لأن غير المسلمين يعفون لحاهم.

الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه، نوجزها فيما يلي:

١- أن الأمر بإعفاء اللحية ليس من أجل مخالفة غير المسلمين فحسب، بل هو من خصال الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية...» الحديث [مسلم ح٢٦١].

٢- إن الغالبية العظمى من غير المسلمين يحلقون لحاهم الآن، والقليل جدًا منهم يعفون لحاهم.

٣- إن الحكم إذا ثبت شرعًا من أجل سبب قد زال، وكان هذا الحكم موافقًا للفطرة، ولشعيرة من شعائر الإسلام، فإنه يبقى ولو زال السبب. ومثال ذلك: الرمل في الطواف (الإسراع بالمشي مع تقارب خطوات الأقدام) كان سببه أن يظهر النبي ﷺ وأصحابه القوة أمام المشركين من أهل مكة، الذين قال بعضهم لبعض: يقدم عليكم قوم أضعفتهم حُمى يثرب (المدينة)، ومع ذلك فقد زالت هذه العلة وبقي الحكم، حيث رمل النبي ﷺ وأصحابه في حجة الوداع.

الشبهة الثانية: يقول بعض الناس: إن النبي ﷺ إنما أعفى لحيته لأن قومه كانوا يعفون لحاهم، وكانت هذه عادة العرب.

الرد على هذه الشبهة: كان النبي ﷺ يفعل ويأمر وينهى بما ارتضاه الله تعالى له ولأمته من الأعمال والأخلاق.

الشبهة الثالثة: يقول بعض الناس: إن أصحاب اللحى يخدعون الناس بلحاهم، فجعلوا اللحية وسيلة ليحصلوا بها على متاع الدنيا ليغتر بهم عامة الناس ويظنوا بهم خيرًا، وأنهم من أهل التقوى والصلاح.

الرد على هذه الشبهة: اعلم أخي الكريم أن هذا ليس ذنب اللحية، إنما هو ذنب الذين يستترون خلف اللحية، إن المكر والخداع موجود في كل مكان وزمان، ولا يختص بأصحاب اللحية فقط.

حقًا: هناك بعض الناس الذين يحلقون لحاهم، ولكنهم يحافظون على أداء الفرائض أكثر من بعض الذين يعفون لحاهم، ولكن يجب أن نعترف أيضًا أنهم عاصون لأمر نبينا ﷺ في عدم إعفاء اللحية، فإن وجود بعض الناس الذين يستترون خلف اللحية، ويخدعون الناس بلحاهم، لا يحل لنا أن نحلق اللحية، ونترك ما أمرنا به نبينا ﷺ، بل يجب أن نمتثل لأمر نبينا ﷺ ونصلح أحوالنا، وننصح أهل المكر والخداع بالحكمة والموعظة الحسنة.

وللحديث بقية إن شاء الله.

إعلام المصلين والولاة

الحلقة الخامسة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وبعد:

فقد توقفنا في الحلقة الماضية عند الكلام عن الخنثى المشكل وحكم إمامته للرجال، وعرفنا الخنثى المشكل، وتحدثنا عن العلامات التي توضح حال الخنثى في الصغر، وأن العلامة الأساسية هي البول من أي الآلتين.

دليلهم على ذلك

قال ابن اللبان: روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سُئل عن مولود له قُبل وذكر من أين يورث ؟ قال من حيث يبول. وروى أنه ﷺ أتى بخنثى من الأنصار، فقال: «ورثوه من أول ما يبول منه». [أخرجه البيهقي في السنن وابن الجوزي في الموضوعات، وفيه الكلبي وأبو صالح وهما ضعيفان].

٢- عن علي رضي الله عنه أنه ورث خنثى ذكرًا من حيث يبول، وقال: يورث من قبل مباله. (أخرجه سعيد بن منصور)، وفي رجل من أهل الشام مات وترك خنثى فسألوا معاوية، فقال: ما أدري ائتوا عليًا بالعراق، فقال علي: إن معاوية كتب إليَّ يسألني عن الخنثى، فكتبت إليه: أن يورثه من قبل مباله. [أخرجه سعيد بن منصور، والبيهقي، وليس فيه ذكر معاوية].

٤- ما روي أن عامر بن الظرب كان من حكماء العرب في الجاهلية، فسُئل عن امرأة ولدت ولدًا له عضوان، فتحير، وقال: هو رجل وامرأة، فلم يقبل منه ذلك، وفي ليلة جعل يتقلب على فراشه ومن نوم فسألته جارية اشتهرت بجودة الرأي، فأخبرها، فقالت له: «دع الحال وحكم المبال»، أي: اجعل كيفية البول هي الحكم فاستحسن رأيها، وخرج فقال لقومه: انظروا إن كان يبول من الذكر فهو غلام، وإن كان يبول من الفرج فهو أنثى، فاستحسنوا ذلك الرأي وبقي حكمًا جاهليًا، واستقر عليه الرأي في الإسلام حتى يومنا هذا.

العلامات التي تظهر عند البلوغ

العلامات التي تظهر في الكبر عند البلوغ نوعان: علامات تختص بالذكور، وعلامات تختص بالإناث.

العلامات المعتبرة في الحكم على الخنثى بذكورته هما علامتان: نبات اللحية، النبات المعروف للرجال عادة وخروج المني من ذكره وكونه مني رجل، سواء أكان في نوم أم في يقظة، فإذا ظهرت بالخنثى علامة من هاتين العلامتين فهو ذكر.

العلامات المعتبرة في الحكم على الخنثى بأنه أنثى أما علامتان: الحيض ونهود الثديين أي بروزهما البروز المعروف للإناث عادة، فإذا ظهر بالخنثى إحدى هاتين العلامتين فهذا دليل على أنه أنثى.

إمامة الخنثى غير المشكل

علمنا مما سبق أن الخنثى غير المشكل هو الذي اتضح حاله أي تبين لنا أنه ذكر أو أنثى، فإذا تبين لنا أنه ذكر فإن إمامته للرجال تكون صحيحة ولا شيء فيها، وإن تبين لنا أنه أنثى فلا تجوز إمامة النساء للرجال وتحرم وتبطل صلاة من خلفها من الرجال على التفصيل السالف ذكره، ولكن الإشكالية تكمن في حالة عدم تبين حال الخنثى- الخنثى المشكل- فما حكم إمامته ؟

حكم إمامة الخنثى المشكل

لا يجوز للخنثى المشكل أن يؤم رجلاً، ولا يجوز أن يؤم خنثى مثله، قال ابن قدامة في المغني: «وأما الخنثى فلا يجوز أن يؤم رجلاً لأنه يحتمل أن يكون امرأة ولا يؤم خنثى مثله لأنه يجوز أن يكون الإمام امرأة والمأموم رجلاً». اهـ. وقال النووي في المجموع: «وإن صلى رجل خلف خنثى أو خنثى خلف خنثى، ولم يعلم أنه خنثى ثم علم لزمه الإعادة، فإن لم يُعد حتى بان الخنثى الإمام رجلاً، فهل تسقط الإعادة ؟ فيه قولان مشهوران عند الخراسانيين، أصحهما عندهم: لا تسقط الإعادة، وهو مقتضى كلام

بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار / أحمد السيد علي

العراقيين، قالوا: ويجري القولان فيما لو اقتدت خنثى بخنثى فبان المأموم امرأة، وفيما لو اقتدى خنثى بامرأة فبان الخنثى امرأة، ولو بان في أثناء الصلاة ذكورة الخنثى الإمام، أو أنوثة الخنثى المصلي خلف امرأة، أو خنثى، ففي بطلان صلاته وجواز إتمامها القولان كما بعد الفراغ، وحكى الرافعي وجهًا شاذا، أنه لو صلى رجل خلف من ظنه رجلاً فبان خنثى لا إعادة عليه، والمشهور: القطع بوجوب الإعادة». اهـ.

حكم صلاة الخنثى المشكل وراء امرأة

لا يجوز للخنثى المشكل أن تؤمه امرأة وذلك لاحتمال أن يكون الخنثى المشكل رجلاً، وقد علمنا مما سبق عدم جواز إمامة النساء للرجال، وبطلان صلاة الرجال خلفها، فإذا صلى الخنثى المشكل خلف امرأة لزمه الإعادة.

حكم صلاة الخنثى المشكل في جماعة

قال ابن قدامة في المغني: قال القاضي: رأيت لأبي حفص البرمكي أن الخنثى لا تصح صلاته في جماعة لأنه إن قام مع الرجال احتمل أن يكون امرأة، وإن قام مع النساء أو وحده أو ائتم بامرأة احتمل أن يكون رجلاً، وإن أم الرجال احتمل أن يكون امرأة، وإن أم النساء فقام وسطهن احتمل أنه رجل، وإن قام بين أيديهن احتمل أنه امرأة، ويحتمل أن تصح صلاته في هذه الصورة، وفي صورة أخرى وهو أن يقوم في صف الرجال مأموما، فإن المرأة إذا قامت في صف الرجال لم تبطل صلاتها ولا صلاة من يليها». اهـ.

ثالثا: إمامة المحدث

المقصود بالمحدث: المحدث حدثا أصغر، والمحدث حدثا أكبر وهو الجنب، وقبل أن نشرع في الكلام عن إمامة المحدث بالتفصيل نوضح المسائل الآتية:

الأولى: اجمعت الأمة على أنه من صلى محدثا مع إمكان الوضوء فصلاته باطلة وتجب إعادتها بالإجماع سواء أتعمد ذلك أم نسيه أم جهله.

الثانية: إذا تعمد الصلاة محدثا كان آثما فاسقًا ولا يكفر بذلك إن لم يستحله، وهذا هو قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: يكفر لتلاعبه واستهزائه بالدين.

الثالثة: أجمعت الأمة على تحريم الصلاة خلف المحدث لمن علم حدثه، والمراد محدث لم يؤذن له في الصلاة، أما محدث أذن له فيها كالمتيمم- وهذا على القول بأن التيمم مبيح للصلاة وليس برافع للحدث- وسلس البول، والمستحاضة إذا توضأت، أو من لا يجد ماء ولا ترابًا، ففي الصلاة خلفهم تفصيل، وخلاف نذكره في موضعه- إن شاء الله.

الرابعة: إن صلى خلف المحدث بجنابة أو بول وغيره والمأموم عالم بحدث الإمام أثم بذلك وصلاته باطلة بالإجماع.

حكم الصلاة خلف المحدث

يختلف الحكم باختلاف حال المأمومين على التفصيل الآتي:

أولاً: في حالة العلم بحدث الإمام.

١- إن كان العلم بحدثه أثناء الصلاة: لزمه مفارقته وأتم صلاته منفردًا بانيًا على ما صلى معه، فإن استمر على المتابعة لحظة أو لم ينو المفارقة بطلت صلاته بالاتفاق، لأنه صلى بعض صلاته خلف محدث مع علمه بحدثه.

٢- بعد الفراغ من الصلاة:

اختلف الفقهاء في حكم صلاة المأمومين على عدة أقوال:

القول الأول: ذهب إلى صحة صلاة المأمومين، وقد حكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن عمر، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والنخعي، والأوزاعي، وأحمد، وسليمان بن حرب، وأبي ثور، والمزني.

القول الثاني: ذهب إلى عدم صحة صلاة المأمومين ويلزمهم الإعادة، وقد حكى عن علي وابن سيرين والشعبي وأبي حنيفة وأصحابه، وهو قول حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة.

القول الثالث: قول مالك: إن تعمد الإمام الصلاة عالمًا بحدثه فهو فاسق، فيلزم المأموم الإعادة على مذهبه، وإن كان ساهيًا.

القول الرابع: إن كان الإمام جنبًا لزم المأموم الإعادة، وإن كان محدثًا أعاد إن علم بذلك في الوقت، فإن لم يعلم إلا بعد الوقت فلا إعادة.

الأدلــة

أدلة القائلين بالإعادة. (وهو القول الثاني):

١- عن أبي جابر البياضي عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ انه صلى بالناس وهو جنب واعاد واعادوا. [أخرجه البيقي والدارقطني وإسناده ضعيف جدًا].

٢- عن عمرو بن خالد عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه صلى بالقوم وهو جنب واعاد ثم امرهم فاعادوا. [أخرجه البيهقي والدارقطني وإسناده ضعيف جدًا].

٣- قالوا قياسًا على ما إذا صلى خلف رجل فبان كافرًا أو امراة، أو صلى وراء رجل وهو عالم بحدثه فعليه الإعادة فكذلك عليه الإعادة هاهنا.

٤- قالوا: إن صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الإمام بدليل أنه إذا سها الإمام فوجب على المأموم سجود السهو كما نوجبه على الإمام، فإذا أوجبنا على الإمام المحدث إعادة الصلاة فيجب على المأموم كذلك إعادتها.

أدلة القائلين بعدم الإعادة (وهو القول الأول)

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم» رواه البخاري

٢- عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل في صلاة الفجر فأومأ بيده أن مكانكم، ثم جاء ورأسه يقطر، فصلى بهم، فلما قضى الصلاة قال: إنما أنا بشر وإني كنت جنبًا. [رواه ابو داود وصححه الالباني].

٣- عن الشريد الثقفي أن عمر رضي الله عنه صلى بالناس وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا. [رواه البيهقي والدارقطني وإسناده حسن].

٤- عن محمد بن عمرو بن الحاث بن أبي ضرار أن عثمان بن عفان رضي الله عنه صلى بالناس وهو جنب، فلما أصبح أبصر في ثوبه احتلامًا فقال: «كبرت والله، الا اراني اجنب ثم لا أعلم، ثم أعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا». [أخرجه البيقي والدارقطني وإسناده حسن].

٥- عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أنه سئل عن رجل صلى بقوم وهو على غير وضوء، فقال يعيد ولا يعيدون. [رواه الدارقطني وإسناده حسن].

٦- لأن الحدث مما يخفى ولا سبيل إلى معرفة من الإمام للمأموم فكان معذورًا في الاقتداء به، ويفارق ما إذا علم الإمام حدث نفسه لأنه يكون مستهزئًا بالصلاة فاعلاً ما لا يحل.

مناقشة أدلة كل من القولين

أجاب أصحاب الرأي الأول على أدلة الرأي الثاني بالآتي:

١- الجواب عن حديث أبي جابر البياضي: أنه مرسل وضعيف باتفاق أهل الحديث.

٢- الجواب عن حديث عمرو بن خالد انه أيضًا ضعيف باتفاقهم.

٣- يجاب عن أقيستهم بجوابين: أحدهما: أنها مخالفة للسنة فوجب ردها. الثاني: أنه مقصر في الصلاة وراء كافر وامرأة ومن علم حدثه بخلاف من جهل حدثه، والله أعلم.

أجاب أصحاب الرأي الثاني على أدلة الرأي الأول القائل بصحة صلاة المأمومين وعدم الإعادة بالآتي:

قول: ثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ حضر وقد أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف حتى إذا قام في مصلاه قبل أن يكبر ذكر فانصرف، وقالوا لنا مكانكم فلم نزل قيامًا حتى خرج إلينا وقد اغتسل يقطر رأسه ماء، فكبر وصلى بنا. فالحديث يدل على أن النبي ﷺ انصرف قبل أن يدخل في الصلاة.

الرد على هذا الاعتراض:

الحديثان صحيحان وهما قضيتان فيجب العمل بهما إذا أمكن، وقد أمكن حملهما على قضيتين:

الرأي الراجح: هو القول بصحة صلاة المأمومين وعدم الإعادة لقوة أدلتهم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

بادر .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء
من مالك ومن الزكوات أو
الصدقات لنشر التوحيد من
خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجميع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٦ سنة من المجلة.
- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد .. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن
بانتظاركم

يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

الآن

بمقر مجلة التوحيد

المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ

سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاد الكمية

مفاجأة

... لا تحرم
مكتبتك وبيتك
وأولادك من هذا
العلم النافع

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٢٨
١٤٢٨
جمال سعد حاتم

اهْدِ نسخة لمسجدك - ونسخة لمكتبتك العامة

- علم نافع وصدقة جارية لا تُفوِّت الفرصة

كرتونة المجلدات أُضيف إليها ذخرٌ جديد

فأصبحت ٣٦ مجلدًا - أقبل على الخير